أعلام الفقهاء والمحدثين

الحسن البصري

إمام أهل البصرة

إعداد

الشيخ كامل محمد محمد عويضة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمده سبحانه أبلغ حمد وأزكاه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الذي اصطفاه ربه واجتباه، وجعل أمره من أمره، ونهيه من نهيه، فقال عزَّ شأنه: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1] وقال: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[2].

أما بعد: فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وأنزل إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم**﴾[3]، وقال المعصوم ﷺ: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فربَّ مبلغ أوعى من سامع»[4]. فلا عجب أن شمّر العلماء عن ساعد الجد من لدن الصحابة في جمع الأحاديث والسنن وحفظها وتبليغها للناس، وقد انقطع إلى هذا العمل الجليل أئمة لا يشق لهم غبار في فقه الأحاديث ونقدها ومعرفة صحيحها من معلولها، وثابتها من زائفها ـ معرفة أوفت على الغاية، وما زالوا يرحلون ويرتحلون، ويحفظون ويكتبون، ويتخيرون ويتحرون الصدق والحق، ويصرفون عن الكذب والباطل حتى تركوا لنا في باب الرواية موسوعات ضخمة وثروة طائلة في هذا العلم النبوي، يجد فيها المسلم والباحث عن الحقيقة ما يشاء من دين ودنيا، وفقه وتشريع، وأخلاق وآداب، ومواعظ وتواريخ، وحكمة واجتماع، وبلاغة وفصاحة.

---

(١) سورة الحشر آية: ٧.

(٢) سورة النساء آية: ٨٠.

(٣) سورة النحل آية: ٤٤.

(٤) رواه الترمذي في: (٣٩) كتاب العلم ـ (٧) باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السماع ـ حديث رقم: (٢٦٥٧).
وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا الكتاب يتناول علماً من أشهر أعلام أهل البصرة منذ خلق الله الأرض، وشيخ هو شيخ الزُهَّاد في زمانه، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه ويرضى عنه.

والله سبحانه ـ نسأل أن يسدد الخطى، ويعصم القلم من الزلل، والنفس من الهوى.

وكتبه،
كامل محمد محمد عويضة
مصر ـ المنصورة ـ عزبة الشال
ش جامع نصر الإسلام

١ ـ انتشار الحديث في عصر الصحابة والتابعين

انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بعد أن عمّ الإسلام الجزيرة العربية كلها، وأصبحت هذه البلاد قلعة حصينة للإسلام، وقاعدة تنبعث منها أضواء الهداية في العالم، وقد عقد رسول الله ﷺ قبل وفاته لواء جيش أسامة لفتح الشام، ولكن المنية اخترمته قبل انفاذه، وخلفه الصدِّيق فوجّه جيش الرسول ﷺ إلى بلاد الشام، واتسعت الفتوحات الإسلامية، وامتدت الدولة الإسلامية حول الجزيرة العربية، ففتحت بلاد الشام كلها (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق جميعها في سنة سبع عشرة هجرية[١]، وفتحت مصر سنة عشرين من الهجرة[٢]، ووصل المسلمون إلى ما وراء النهر في خلافة عثمان بعد أن فتحوا (فاس) سنة إحدى وعشرين ووصلوا سمرقند سنة ست وخمسين[٣]، وما لبثت الرايات الإسلامية أن خفقت في ربوع الأندلس غرباً سنة ثلاث وتسعين[٤]، وارتفعت بنود الإسلام وأعلامه في ذرا جبال البرانس[٥] سنة ست وتسعين، وعلى حدود الصين شرقاً سنة ست وتسعين أيضاً[٦] كان في طليعة الجيوش الإسلامية

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن: ١/٢٩٩.

(٢) المرجع السابق: ١/٢٣٦.

(٣) المرجع السابق: ١/٢٧٩.

(٤) المرجع السابق: ١/٣١٣.

(٥) المرجع السابق: ١/٣١٨.

(٦) المرجع السابق: ١/٣٠٥.

صحابة رسول الله ﷺ وكانوا كلما دخلوا بلداً أقاموا فيه المساجد[1]، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره، وينشرون فيه الإسلام، ويعلمون أبناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار، يرشدون أهلها، ويعلمون أبناءها.

وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً، والتفوا حول أصحاب الرسول ﷺ، ينهلون من الينابيع التي أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم، وحفظوا السنّة الشريفة، وهكذا أصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه، إلى جانب مراكز الإشعاع الأولى التي أمدت هذه الأقطار بالأساتذة الأول.

ويجدر بنا أن نذكر لمحة موجزة عن مراكز التعليم هذه فيما يخص بحثنا، فنتناول أهم تلك المراكز العلمية والقائمين عليها في الأمصار الإسلامية:

١ ـ المدينة المنورة:

هي دار الهجرة، وحاضرة الدولة الإسلامية، التي آوت الرسول الكريم بعد هجرته ومعه الصحابة رضوان الله عليهم، وشهدت الجانب التشريعي الأول في صدر الإسلام، وفي مساجدها التف المسلمون حول محمد ﷺ، يتلقون القرآن العظيم، ويسمعون الحديث الشريف، وفيها شاهدوا قضاءه وقسمته للغنائم، واستنفاره للجيوش، وموادعته لخصومه، وإليها التجأ المسلمون المهاجرون بدينهم، تحت ضغط قريش والقبائل

---

(١) الخطط المقريزي: ٢/٢٤٦.

الأخرى في أطراف الجزيرة العربية، وتعلقت بها الأنظار، وعقدت عليها الآمال. حتى كان صلح الحديبية ثم الفتح الأعظم، فأصبحت مركز الحجاز السياسي، وعاصمة الدولة الإسلامية إلى أوائل خلافة عليّ رضي الله عنه. وقد يخطر ببالنا أن المهاجرين عادوا إلى مكة بعد وفاته ﷺ، ولكن التاريخ يؤكد لنا أن الصحابة والخلفاء آثروا أن يجاوروا رسول الله ﷺ[1]، ويقيموا حيث أقام، لذلك نرى في المدينة كبار الصحابة الذين رسخوا في العلم، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت الذي اشتهر بفهم القرآن والحديث والفرائض خاصة، وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى إنهم ما كانوا يقدمون عليه أحداً في القضاء أو الفتوى والفرائض والقراءة[2].

وقد تخرّج في المدينة كبار التابعين، ومنهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبد الله بن عمر، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة في السنة والقضاء والفتوى.

٢ ـ مكة المكرمة:

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، خلف فيها معاذاً يعلم أهلها الحلال والحرام، ويفقههم في الدين، ويقرئهم القرآن الكريم، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وسخاءاً وحلماً، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٢٨/٥، وفيه كان يكره المسلمون المهاجرون أن يعود أحدهم إلى مكة بعد أن فارق الرسول ﷺ في المدينة.

(٢) تاريخ دمشق ص/٢٨٤، وسير أعلام النبلاء: ٢١٥/١.

يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام. قال رسول الله ﷺ فيه: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله»[1]، وقال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود، وأبي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[2].

وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة، منهم عبد الله بن عباس، الذي كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة المكرمة، كما كان في مكة عتاب بن أسيد الذي أمّره رسول الله ﷺ للصلاة في أهلها[3]، وأخوه خالد بن أسيد، والحكم بن أبي العاص، وعثمان بن أبي طلحة وغيرهم[4].

وقد تخرّج في مكة على أيدي الصحابة مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم[5]. ولا بد أن نذكر هنا علو منزلة مكة المكرمة، وأثرها في تبادل الثقافة ونشر الحديث النبوي في مواسم الحج، حيث يلتقي فيها المسلمون ويجتمع أكثرهم بصحابة رسول الله ﷺ وبالتابعين، يحملون معهم الكثير من الطيب من حديثه عليه الصلاة والسلام إلى بلادهم، ولا تزال لمكة والمدينة هذه المكانة إلى يومنا هذا، وستبقى ما بقي الإسلام إلى يوم الدين.

٣ ـ الكوفة:

لقد نزل في الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ، في عهد عمر رضي الله عنه، حين فتحت العراق للمسلمين، وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الفتح الإسلامي في خراسان وفارس والهند، فقد هبط

---

(١) أصول الحديث: د. محمد عجاج.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١/٣٢١.
(٤) معرفة علوم الحديث ـ ابن الصلاح: ص/١٩٢.
(٥) فجر الإسلام ـ أحمد أمين: ص/١٧٤.

الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر[1] من أشهرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن مسعود وغيرهم[2].

وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة، لما بذله في سبيل تعليم أبنائها، وقد تخرّج في هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنّة المطهّرة، فقد كان في الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود، وكان في بني ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلاً، ما فيهم رجل دون الربيع بن خيشم[3] المشهور بعبادته وورعه وعلو مكانته في الحديث، وكان فيهم كميل بن زيد النخعي، وعامر بن شراحيل الشعبي، وسعيد بن جبير الأسدي، وابراهيم النخعي، وأبو اسحاق السبيعي، وعبد الملك بن عمير[4] وغيرهم.

٤ ـ البصرة:

ونزل البصرة من الصحابة رضوان الله عليهم أنس بن مالك، وكان إمام البصرة في الحديث، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس الذي ولي إمرتها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونزل فيها غير هؤلاء عتبة بن غزوان، وعمران بن حصين، وأبو برزة الأسلمي، ومعقل بن يسار، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبو زيد الأنصاري، وعبد الله بن الشخير، والحكم وعثمان بنا أبي العاص وغيرهم[5].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/٦.

(٢) معرفة علوم الحديث: ص/١٩١.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤/٦.

(٤) معرفة علوم الحديث: ص/٢٤٣ ـ ٢٤٨.

(٥) معرفة علوم الحديث: ص/١٩٢.

وأشهر من تخرّج في مدرسة البصرة الحسن البصري الذي أدرك خمسمائة من الصحابة، ومحمد بن سيرين، وأيوب السختياني، وبهز بن حكيم القشيري، ويونس بن عبيد، وخالد بن مهران الحذاء، وعبد الله بن عون، وعاصم بن سليمان الأحول، وقتادة بن دعامة السدوسي، وهشام بن حسان[1] وغيرهم.

وأما بغداد لم تشتهر إلا منذ عهد المنصور العباسي.

٥ ـ الشام:

نزل الشام من الصحابة عدد كبير كانوا في جيش الفتح الإسلامي، وقد استوطن أكثرهم المدن الكبرى باديء الأمر، ثم ما لبث سكان القرى أن تمسكوا ببعضهم عندما شعروا بالفائدة العلمية الكبرى التي حملها إليهم المسلمون، ومن الصعب حصر عدد الصحابة الذين حلوا في بلاد الشام، ولكن الوليد بن مسلم يقرب هذا لنا فيقول: «دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ»[2]، وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء، ليفقهوا أهل الشام[3]، فأرسل إليه معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء ـ الذين توزعوا في بلاد الشام فأقام عبادة في حمص، وأبو الدرداء في دمشق، ومعاذ في فلسطين ثم أرسل عمر بعد هؤلاء عبد الرحمن بن غَنْم[4].

ونشطت الحركة العلمية في بلاد الشام وخاصة في دمشق أيام

---

(١) المرجع السابق: ص/٢٤٨.
(٢) التاريخ الكبير ـ لعبد القادر بدران: ١/١٦٩.
(٣) غوطة دمشق ـ لمحمد كرد علي: ص/١٣١.
(٤) فجر الإسلام: ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

الأمويين، وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون[1]، وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية داريا حاضرة العلم والأدب في غوطة دمشق، ويقول السمعاني: انه كان في داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديماً وحديثاً. وممن نبغ فيها من الصحابة عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني، ويعد في الطبقة الثانية من فقهاء الشام[2].

وقد نزل بلاد الشام غير الصحابة المذكورين أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، وشرحبيل بن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ـ وهو مدفون بالأردن ـ، وعوف بن مالك الأشجعي، والعرباض بن سارية وغيرهم.

وتخرّج على أيدي الصحابة في هذه المدرسة كبار علماء الشام من التابعين منهم سالم ابن عبد الله المحاربي قاضي دمشق، وأبو إدريس الخولاني (عائذ بن عبد الله) الذي تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد، ومنهم أبو سليمان الداراني، قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز، وليزيد وهشام ابني عبد الملك، قضى لهم ثلاثين سنة، ومنهم عمير بن هانىء العنسي الداراني المحدث[3]. وتخرج في هذه المدرسة عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، الذي يقرن بمالك وأبي حنيفة ويلقب بامام أهل الشام، ومكحول الدمشقي، وعمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة، وبحير بن سعيد الكلاعي، وثور بن يزيد الكلاعي، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وغيرهم.

٦ ـ مصر:

دخل المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بإمرة

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ـ للسخاوي: ص/١٣٨.

(٢) غوطة دمشق: ص/١٣٤.

(٣) تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني: ص/٢٩ ـ ٧٢.

عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكـان معه من الصحابة عدد كبير منهم الزبير بن العوام، وعبادة بن الصـامت، ومسلمة بن مخلد، والمقـداد بن الأسود، وكانوا على رأس المدد الذي أرسله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، كما كان معه عبـد الله بن عمرو: أحـد الصحابـة المكثرين عن رسول الله ﷺ، والذي كان يدون الحديث بين يدي رسول الله ﷺ، فقد مكث بمصر الى ما بعد وفاة والده، وعنه روى كثير من محدثيها.

ونزل مصر من الصحابة عقبة بن عامر الجهني، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرج ومحمية جزء، وعبـد الله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفـاري، وأبو سعـد الخير، ومعـاذ بن أنس الجهني، ومعاوية بن حُديج، وزياد بن الحارث الصدائي وغيرهم[1].

وتخرّج على أيدي هؤلاء في هذه المدرسة يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية وعمر بن الحارث، وخير بن نعيم الحضرمي، وعبد الله بن سليمان الطويـل، وعبد الـرحمن بن شريح الغـافقي، وحيوة بن شريـح التجيبي وغيرهم، وقد كان ليزيد بن أبي حبيب أثر بعيد في نشر الحديث في مصر، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير، وكانا في عصرهما محدثي الديار المصرية.

٧ - المغرب والأندلس:

كان عمرو بن العاص قد وصل الى برقة وطرابلس سنة (٢١ هـ) في عهد عمر بن الخطاب، فاستأذن عمرو الخليفة بفتح افريقية فلم يأذن له، فاستجاب لأمر أمير المؤمنين وعاد إلى مصر، فكان عمرو وأصحـابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب، وعندما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة أذن لأمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بغزو افريقية، وكان

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطي: ١/٧٢ - ٧٣.

ذلك سنة (٢٥ هـ) ثم أمده بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن جعفر، والحسن والحسين، وعبد الله بن الزبير ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة، فتابعوا فتح البلاد، ثم خرج لفتح المغرب معاوية بن حديج سنة (٣٤ هـ) وكان في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار، وقال سليمان بن يسار: غزونا افريقية مع ابن حديج ومعنا من الأنصار والمهاجرين بشر كثير. ثم ولي عقبة بن نافع المغرب، وكان في جيشه كثير من الصحابة والتابعين وهو الذي فتح المغرب الأقصى ووطّد أركان الإسلام في شمال افريقية[١]. وقد نزل افريقية من الصحابة غير الذين ذكرناهم مسعود بن الأسود البلوي أحد الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، والمسور بن مخرمة، والمقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة السابقين، وبلال بن حارث بن عاصم المزني صاحب لواء مزينة يوم الفتح، وجبلة بن عمرو بن ثعلبة أخو أبي مسعود البدري، كان فاضلاً من فقهاء الصحابة، وسلمة بن الأكوع الصحابي المشهور وغيرهم كثير.

ودخل افريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عامر بن هشام، ومعبد أخو عبد الله بن عباس. وعبد الرحمن بن الأسود، وعاصم بن عمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب، وسليمان بن يسار فقيه المدينة، وعكرمة مولى ابن عباس.

وأبو منصور والد يزيد بن منصور من كبار التابعين كما أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل افريقية منهم: حبان بن أبي جبلة، واسماعيل بن عبد الله الأعور، واسماعيل بن عبيد، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي الذي ولي قضاء افريقية، وسعيد بن مسعود

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الحكم: ص/١٩٣ ـ ١٩٤.

التجيبي وغيرهم ممن ساهموا في نشر الإسلام وتعليم أبناء البلاد وتفقيههم.

وقد تخرج على أيدي هؤلاء من أهل افريقية خلق كثير منهم: زياد بن أنعم المعافري، وعبد الرحمن بن زياد، ويزيد بن أبي منصور، والمغيرة بن أبي بردة، ورفاعة بن رافع، وعمرو بن راشد بن مسلم الكناني، وعمران ابن عبد المعافري، والمغيرة بن سلمة، ومسلم بن يسار الافريقي، وغيرهم ممن حمل لواء العلم.

وما لبثت مدينة القيروان أن أضحت محطّ أنظار أهل المغرب فكان فيها سحنون بن سعيد، وسعيد بن محمد الحداد. كما لمعت قرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية، من بلدان الأندلس في مطلع القرن الثالث الهجري بيحيى بن يحيى، وابن حبيب وببقي بن مخلد وغيرهم.

٨ ـ اليمن:

كان رسول الله ﷺ قد وجه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، كما نزل غيرهما من الصحابة فيها، وتخرّج في اليمن علماء من ألمع التابعين، منهم همام ووهب بنا منبه، وطاوس وابنه، ثم معمر بن راشد، ثم عبد الرزاق بن همام وأصحابه[1].

٩ ـ جرجان:

فتحت جرجان في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح نهاوند وذلك سنة ثماني عشرة[2]، ونزل بجرجان عدد من الصحابة، منهم أبو عبد الله الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر،

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص/١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) تاريخ جرجان للسهمي: ص/٤ ـ ٩.

وحذيفة بن اليمان، وسعيد بن العاص، وسويد بن مُقرِّن، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبو هريرة، وعبد الله بن الزبير، وقيل نزل بها أيضاً الحسن بن علي، وسواد بن قطبة، وسماك بن مخرمة، وهند بن عمرو، وعتيبة بن فهاس.

١٠ ـ قزوين:

ونزل قزوين جمّ غفير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: البراء بن عازب، وسعيد بن العاص، ونزل عبد الله بن عمرو بن العاص حاموران، وسعيد بن العاص شيروان، وعبد الله بن عباس فيروزورام وكانوا يتزاورون، وكان لسعيد بنون: عمرو ويحيى وعنبسة،كما نزلها سلمان الفارسي، وأبو هريرة الدوسي.

وأما التابعون فمنهم ابراهيم بن يزيد النخعي، وسعيد بن جبير، وشمر بن عطية بن عبد الرحمن، وشهر بن حوشب، وطليحة بن خويلد الأسدي.

فعمروا الديار بالعلم والمساجد والبنيان، وتخرج من تلك الديار كثير من أهل الحديث منهم الإمام ابن ماجه القزويني.

١١ ـ خراسان:

نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها بريدة بن حصيب الأسلمي وهو مدفون بمرو، وأبو برزة الأسلمي، والحكم بن عمرو الغفاري، وعبد الله ابن خازم المدفون بنيسابور، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند، وفي هذه البلاد ظهر كبار المحدثين ففي (بخارى) كان عيسى بن موسى غنجار، وأحمد بن حفص الفقيه، ومحمد بن سلام البيكندي، وعبد الله بن محمد السندي، ثم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري.

وفي (سمرقند) أبو عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ثم محمد بن نصر

المروزي كما ظهر في (الشاس) فيما بعد الحسن بن الحاجب والهيثم بن كليب.

وفي (فرياب) تخرّج جماعة من العلماء أقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري، ثم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف المتوفى سنة ٢٢٦ هـ(١).

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسلمين عندما ساروا إلى البلاد المجاورة لم يسيروا وراء دنيا يصيبونها، ولا خلف تجارة يربحون منها، وإنما انطلقوا ليحرروا الأمم من الظلم والطغيان، وينشروا بين أبناء البلاد الجديدة تعاليم الإسلام، ويأخذوا بأيديهم إلى جادة الصواب، ويفتحوا عيونهم على نور الهداية والحق.

وبهذا، تتميز الفتوحات الإسلامية عن جميع الفتوحات التي عرفها التاريخ، إلى جانب ميزات كثيرة يضيق المقام بذكرها، ومن أجل تحقيق تلك الغاية المذكورة، استقر علماء الصحابة في الأقطار المختلفة، وأمد الخلفاء الأمصار بالعلماء ليسرعوا في حركة التحرير والهداية والتعليم، وقد التفّ المسلمون الجدد حول من عندهم من الصحابة.

وكان الصحابة يتفاوتون في العلم، ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ما قاله الرسول ﷺ وشرعه، ولهذا بدأت الرحلات العلمية في سبيل جمع الحديث وتلقيه، وقد ظهرت هذه أيضاً بين الصحابة، وكثرت الرحلات من التابعين وأتباعهم ليسمعوا ما فاتهم، أو ليتأكدوا مما سمعوا، ولهذا نرى كثيراً من التابعين يقصدون الصحابة في أقاصي البلاد يسافرون الليالي والأيام في طلب حديث أو حديثين. وقد رأينا بروز بعض الصحابة ولمعانهم

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :ص/١٤٣.

في الأقطار المختلفة، فانطبع تلامذتهم بطابعهم وساروا على نهجهم، ثم حلوا محلهم وحملوا لواء العلم ونشره.

٢ ـ مسجد البصرة:

يحتاج مسجد البصرة إلى كتاب برأسه، فقد قدر لهذا البلد الطيب أن يكون المصدر الأول للحركة العلمية في أزهى عصور العربية، وكان علماؤه لا يقتصرون على البحوث الدينية، بل يتكلمون في كل ما يتجه اليه العقل من علوم، بحيث كانت ساحة المسجد الممتدة مدرسة ذات فصول، والفصول هي الحلقات المتنوعة في المسجد، فحلقة للنحو، وحلقة لعلم الكلام، وحلقة للفقه، وحلقة للتفسير، وحلقة للوعظ والقصص، وحلقة للتاريخ والأخبار، والناس يعرفون جميعاً دسامة هذه الحلقات ويخفون اليها من كل صوب، بل إن الرشيد على جلالة قدره كان يتنكر في بعض الملابس والأزياء ليشاهد بعض المحاولات الفكرية في البصرة على حالها الطبيعي دون افتعال، وكذلك فعل المأمون، إذ أخذ يصطحب القاضي يحيى بن أكثم الى حلقات المعتزلة بالبصرة، لينعم بلذة الصيال الفكري، حين يرى رأياً يصول على رأي، وحجة تفرغ حجة، والناس واعون متيقظون كأنما يسمعون لأول مرة كتاب الله.

وقد انتشرت سمعة المسجد البصري الجامع في العهد الأموي، وإن كان عهده الأول يقتصر على دروس الفقه والوعظ، ثم اتجه إلى دروس اللغة والنحو حين أخذ عبد الله الحضرمي يقرأ العربية على طلّابه، وقد خطأ كبار الشعراء ومنهم الفرزدق، فثار عليه الشاعر الصلف وهجاه بأبيات منها قوله المشهور:

فلو كان عبد الله مولى هجرته
ولكن عبد الله مولى مواليا

وتوالت دروس أبي عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وسيبويه، تقيم للعربية مجداً شاهد الأوج، رفيع العماد.

وكان للحسن البصري رحمه الله مجلسه العلمي الرائع، وفي حلقة درسه نشأ الاعتزال، حين خاصمه تلميذه واصل بن عطاء، واعتزل مجلسه الى مجلس آخر، وتابعه في اتجاهه عمرو بن عبيد، واشتد اللجاج، فكثر المعتزلة، وظهر من رؤوسها في المسجد الجامع أبو هذيل العلاف والنظام، ومهما قيل في الاعتزال من نقد، فإن أعلامه الكبار هم الذين تصدوا للزنادقة والملاحدة، وهم الذين حاربوا أعداء الإسلام بمنطق العقل فكشفوا عوارهم، وكان اعتزازهم بالعقل مبعث نهوض فكري، لم يقف عندالعقيدة وحدها، بل امتد الى كل بحث علمي.

وبذلك أصبح الفكر الإسلامي ذا ثروة رائعة تقف عليها اليوم فيما كتبه السابقون من تراث يصور أوجه الخلاف بين الفرق المتصارعة، ولا يعي صاحب العقل البصير أن يتجه إلى ما يرتضيه من الآراء، مقدراً وجهة نظر المخالف تقديره لوجهته التي يميل اليها، وفي ذلك من سعة الصدر ورحابة الأفق ما يجب أن يكون على مدى الحياة.

على أن مجالس الوعظ والقرآن بالمسجد الجامع بالبصرة كانت أشد جذباً للعامة من رواد الحلقات، إذ لا يصبرون على عمق الجدل الكلامي، وتشعب مراميه، وقد اشتهر بالقصص التهذيبي والوعظ الديني نفر كبير منهم أبو ذر الهمذاني الذي قال عنه الجاحظ: ما سمعت أبا ذر يعظ الناس إلا خيّل إليّ أنه قد نفخ في الصور وقام الناس لرب العالمين، وما سمعت أحداً يقلّده عن غير بصر إلا تمنيت أن يمشق بالسياط تسعين! أما القاضي ابن سيار الأسواري فقد كان عجيبة العجائب حقاً، يقول عنه الجاحظ: إن فصاحته بالفارسية كانت تعدل فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلس وعظه فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن شماله، فيقرأ الآية من كتاب

الله، ويفسِّرها للعرب بالعربية، وللفرس بـالفارسيـة، فلا يـدري العالم باللغتين معاً بأي لسان هو أبين، وزميله الذي يجاوره في الحلقة عمرو بن قائد لا يقل مكانة عنه، وقد قضى ستة وثلاثين عاماً يفسر كتاب الله، مبتدئاً بسورة البقرة، ومضى عليه هذا الأمد الطويل دون أن يختم القرآن تفسيراً.

وكان عراك النحاة واللغويـين لا يقل روعـة عن عراك سـواهم من المتكلّمين، فكثيراً ما اصطدم الأصمعي بـأبي عبيدة في حلقـات المسجد الجامع، وكانت الغلبة في الظاهر للأصمعي، لأنه حسن المنطق، فصيح المخارج، بارع الفكاهة، ولكن الذين يدققون في صميم الحوار ويتعمقونه يعرفون عمق أبي عبيدة وبعد غوره، وإن صد عنه تلكؤ لسانه، وضعف بيانه أثناء الجدل.

وقد خاصم الأصمعي سيبويه في بعض المسائل، وانتصر عليه بلباقته المعهـودة، حـين أخـذ يشقق الحـديث، وينتقـل من فن إلى فن، ولكن الأصمعي نفسه كان يدري أنه يخدع السامعين دون أن يصيب المقتل من صاحبه، وفيما رواه ياقوت الحموي عن الأصمعي اعتراف صريح يدل على أنه يعرف منزلة من يناظرهم، ويعلم أنهم يصيبـون إصـابة لا تحتاج إلى اللجاج لولا ما منيت به النفس البشرية من حب الانتصار وزهو الغلبة.

قـال يـاقـوت[1]: قـال أبـو حـاتم السجستـاني: فقلت لـه ـ أي الأصمعي ـ: في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه، قـال: سل، فقلت: حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه في المناظرة، فقال: والله، لولا أني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك، إنه عرض عليّ شيء من الأشياء التي وضعها سيبويه في كتابه، ففسرتها عـلى خلاف مـا فسّر، فبلغ ذلك

(١) معجم الأدباء (نقلاً عن كتاب الجاحظ للدكتور الحاجري، ص ١٠٧).

سيبويه، فبلغني أنه قال: لا ناظرته إلا في المجلس الجامع، فصليت يوماً في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد، فقال لي: اجلس يا أبا سعيد، ما الذي أنكرت من بيت كذا، وبيت كذا، ولم فسرت على خلاف ما يجب، فقلت له: ما فسرت إلا على ما يجب، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ، تسألني وأجيب، ورفعت صوتي، فسمع العامة فصاحتي، ونظروا إلى لكنته، وقالوا: غلب الأصمعي سيبويه، فسرني ذلك، فقال لي: إذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني لم التفت الى قول هؤلاء ونفض يده في وجهي ومضى.

وهذه القصة وإن صورت جموح الأصمعي وشهوة الزهو لديه، فإنها تصور أيضاً اعترافه بالحق لأبي حاتم، وتقديره القوي لرأي سيبويه، كما تصور في الوقت نفسه عظمة سيبويه حين لم يعبأ بمدح الغامة أو ذمهم، بل قال قوله عن يقين في صحته، بل عن يقين في أن الأصمعي يعلم أنه مصيب، ولكنه يأبى أن يتراجع! فسيبويه في مجال التقدير العلمي أوفى كيلاً من صاحبه.

وإذا كان الشعراء في صدر العصر العباسي يؤمون هذه الحلقات فإنهم لا محالة قد تأثروا فكرياً بالمتكلمين، وأخذت أفكارهم تعمق ومعانيهم تغزر بالاستماع إلى هذه المجادلات الدقيقة، وفيهم من بالغ في ذلك مبالغة اشتهر بها، ويقول الدكتور محمد طه الحاجري[1].

«وقد كان من أثر اتصال الشعراء بالمتكلمين وأخذهم عنهم (في مسجد البصرة) أن جعلنا نرى فيهم من اصطبغ شعره بالصبغة الكلامية، فعرف بهذا اللون من الشعر، كأبي عبد الرحمن العطوي، وهو شاعر بصري المولد والمنشأ، وقد ذكره محمد بن داود في كتاب الشعراء ـ على ما ينقل عنه أبو

(١) الجاحظ: حياته وآثاره، للدكتور الحاجري، ص ١٠٥.

الفرج ـ قال: كان له فن من الشعر لم يسبق اليه، وذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام، ففارق[1] جميع نظرائه، وخف شعره على كل لسان، وروي، واستعمله الكتاب، وأخذوا معانيه وجعلوه إماماً».

ونختار من أساتذة هذا المسجد الجامع شخصية الحسن البصري، فنعرّف به وسيرته العطرة، وإنه الشهير الجهير، فهيّا بنا إلى هناك.

٣ ـ نسبه ومولده:

الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، مولى زيد[2] بن ثابت، ويقال مولى جميل بن قطبة، وأمه خيرة مولاة أم سلمة[3] كانت تخدمها، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع، فتشاغله أم سلمة بثدييها فيدرّان عليه فيرتضع منهما، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد في الطبقات: ولد لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسمع خطبة عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه، وكان فصيحاً رأى علياً[4] وطلحة[5] وعائشة وكتب للربيع بن زياد

---

(١) لعلها: فاق.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لَوْذان الأنصاري البخاري، أبو سعيد، صحابي مشهور، كتب الوحي، وكان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس.

(٣) طبقات ابن سعد: ج ٧ ق ١ ص ٢٨.

(٤) علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، ووالد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، استشهد في سابع عشر رمضان من عام أربعين.

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة، مشهور، استشهد يوم الجمل، سنة ست وثلاثين.

والي خراسان في عهد معاوية.

٤ ـ نشأته:

نشأ بالمدينة، وحفظ كتاب الله في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وسمعه يخطب مرات، وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة ثم كبر ولازم الجهاد ولازم العلم والعلم، وكان أحد الشجعان الموصوفين يذكر مع قطري بن الفجاءة، وصار كاتباً في دولة معاوية لوالي خراسان الربيع بن زياد كما ذكرنا.

ثم كان ـ وهو صغير ـ تخرجه أمه إلى صحابة رسول الله ﷺ فيدعون له بصالح الدعوات، فاستجاب لهم ربهم، وأصبح الحسن البصري عالم يدوي اسمه في سماء العلم، ويتفوّه باسمه أهل العلم في بقاع الأرض من كل زمان ومكان.

وكان من جملة من يدعو له خليفة أهل الأعمر فاروق الحق من الباطل عمر بن الخطاب، قال: اللهم فقّهه في الدين، وحبّبه إلى الناس.

واستجاب له الباري سبحانه فأصبح من الفقهاء العلماء البارعين الزاهدين العاملين بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، ودوّن اسمه في سجلّات الخالدين إمام فقيه مشهور، أحد التابعين الكبار الأجلّاء علماً وعملاً وإخلاصاً.

وحينما ننظر إلى أبيه فكان من سكان مدينة ميسان، ثم سبي عام اثني عشر من هجرة رسول الله ﷺ أثناء حملة خالد[١] على العراق، فنقل إلى المدينة حيث غدا مولى لزيد بن ثابت، فولد الحسن ليجد المدينة أرجة بعبير

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، سيف الله، يكنى أبا سليمان، من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، مات سنة إحدى وعشرين.

الصحابة، وكان فيه منذ صغره نجابة وذكاء، فتتلمذ على أنس بن مالك ولقي سبعين ممن شهدوا بدراً كما ذكرنا فتحدث إليهم وروى عنهم،ويقول مؤرّخوه أنه حفظ القرآن وهو دون الرابعة عشرة من عمره! ومثل هذا العمر الصغير في زمن الحسن حيث لا فقيه منتظم يقرىء الناس، إنما هو تلقى السورة والآية عن صحابي أو تابعي مع ما يفهم من تأويلها على وجهها الصحيح، مثل هذا العمر الذي استقصى القرآن حفظاً وفهماً يدل على استعداد الناشىء وطابعه العلمي الأصيل.

قال شاعر الإسلام[1]: شاهد الحسن الخلاف الحزبي بين الأمويين والشيعة والخوارج، فكان يتألّم لما يرى من دماء تراق في غير عدو، وتطوّع في الفتوح الإسلامية حيث اشترك في حرب كابل ببلاد الأفغان ورجع من الجهاد ليشغل الى أمد قصير موظفاً عند الأمويين، ثم آثر الاعتزال والقيام بالوعظ والإرشاد في مسجد البصرة إلا ما كان من ولاية القضاة مدة قصيرة أبى أن يأخذ عنها أجراً، لأن إصدار الحكم الشرعي في الإسلام لا يباع.

ولم يسكت الواعظ الكبير عما كان يرى من مظالم الأمويين بعامة وما يشهد بعينه من آثام الحجاج في البصرة بخاصة، ولكنه كان لبقاً كيساً، لا يصادم بما يهدر الدم، بل يراعي المقتضي المناسب دون أن يؤثر السكوت كمن استكانوا إلى المناصب غانمين، ودون أن يجاهر بالثورة حيث لا أمل له في النجاح.

وقد اشتهر الحسن البصري بالتصوّف حيث كان زاهداً إسلامياً خالصاً يستمد أصوله من كتاب الله، وسنّة الرسول، وصنيع السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ، وقبل أن تتخلله مزاعم الثقافات الوافدة من الهند

---

(١) ا. د. محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، شاعر وقصّاص وأديب بلوع.

وفارس واليونان، فهو إذن ينحو المنحى الإسلامي النقيّ، ولو عرف المسلمون أن مذهبه هو المذهب السلفي المأثور، ما صاروا في التصوّف هدفاً للثقافات الوافدة، وما ضلّ الكثير منهم فيما ادعوه من اتحاد وحلول ووحدة ووجود ووحدة وشهود وغير ذلك من ألفاظ تبحث عن أصولها في كتاب الله وسنّة رسوله فلا تجد[1].

وهو في علم الكلام كما كان في التصوف يقف عندما يوحى به النص القرآني بعيداً عن التأويل، ولذلك اعتزله واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ومن ألفوا لهم مذهباً جديداً تحت الاعتزال، وفي بعض كتب علم الكلام آراء تنسب الى الحسن تعتبر دخيلة عليه، إذ لو كانت هي آراؤه ما اعتزل مجلسه المخالفون من تلاميذه، على أنه شاء أن يبعد بمجالس العلم في المسجد الجامع عن لجاجات علم الكلام، وأن يقتصر على الصريح الجليّ من كتاب الله، وبعض الكاتبين يحاول أن يجعله الموجّه الأول لرابعة العدوية في حبها الإلهي، ورابعة زاهدة عابدة، وهي سيدة فاضلة، سهلة العقيدة، ساذجة الفكرة، ومحاولة جعلها ذات مذهب صوفي يهدف إلى حب الله وحده دون خوف من نار أو طمع في جنة مما لا يتلاءم مع مستواها، والذين ينسبون إليها ما يدل على ذلك ينسون فينسبون اليها ما يخالفه، إذ أجمع الذين يؤرّخون لها أنها قالت:

وزادي قليل ما أراه مبلغي
ألـلزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي فيك أين مخافتي

ولكن المغربين من المستشرقين يحاولون أن ينسبوا لها ما يجعلونه شبيهاً

---

(١) انظر: مجالس العلم في حرم المسجد لشاعر الإسلام.

بمذهب آخر في دين آخر، ليكون لهم اطلاعهم الزائد من ناحية، وتحقيق مآربهم في إلغاء كل أثر للإسلام في الزهد النفسي والصفاء الروحي! وإذا كان الحسن موجهاً لها في قول بعض هؤلاء فأين هي أقوال الحسن في تصويب العقاب والثواب، وكل أقواله المحفوظة ترهيب ووعيد.

قال ابن الجوزي: كان أبو الحسن المكي يَسُف الخوص، وكان لا يملك إلا داراً فلما ضعف عن سف الخوص، باعها على شرط أن يكريه المشتري إياها، وأودع الثمن عند المشتري، وكان يأخذ منه في كل شهر خمسة دراهم لنفقته ويعطي المشتري أجرة الدار. فمات قبل أن ينفذ الثمن، وكانت له جُبَّة صوفٍ بيضاءُ أقامت معه عشرين سنة شتاء وصيفاً ما لبس غيرها، وكانت في نهاية الحسن والنقاء والنظافة والصحة.

٥ ـ صفاته:

كان الحسن البصري رضي الله عنه حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن فقيه زاهد، متشمّر عابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً[1].

وقد قيل: إن التصوّف تنقية من الدرن، والتوقية من البدن، للتبقية في العدن. وكانت عبادته رحمه الله أعظم العبادة تعلّم العلم الذي يعرف به الحلال من الحرام بإخلاص، وكان للحسن اشتغال في العبادة، وكان كثير التلاوة للقرآن كثير الذكر لله تعالى، معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة، وكان صوّاماً قوّاماً، وجمع بين العلم والعمل والزهد والورع، والنطق بالحكمة وغير ذلك.

وكان مع تبحره في العلم، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير

---

(١) الوقذ: الضرب حتى يسترخي ويشرف على الموت.

ذلك، بما قد سارت به الركبان، رأساً في الزهد، قدوة في الورع، وكان عديم الميسرة والرفاهية والتنعّم، مع التقوى والقناعة والورع الثخين، والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك رعونات النفس من ثياب حسنة، ومأكل طيب، وتجمّل في هيئة. وكان رحمه الله يقول[1]: إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً ويتقلب باليقين في الحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء.

وقال حزم بن أبي حزم، قال: سمعت الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما يسمع المؤمن في دينه إلا الحزن.

وكان الحسن رحمه الله يقول: يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده، أن يطول حزنه، وكان يقول: طول الحزن في الدنيا تلقيح العمل الصالح، وقال: والله ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين طهرانيكم، إلا أصبح مغموماً وأمسى مغموماً.

وقال: والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب. وقال: والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به؛ ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

وعن الأعمش قال: ما زال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وعن خالد بن صفوان قال: لما لقيت مسلمة بن عبد الملك بالحيرة قال: يا خالد أخبرني عن حسن أهل البصرة، قلت أصلح الله أميرك أخبرك

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٢/١٣٢.

عنه بعلم أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه، واعلم من قبلي به، أشبه الناس سريرة بعلانية وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك يا خالد كيف يضلّ قوم هذا فيهم.

كان الحسن البصري رحمه الله مولى من موالي الأنصار، وكان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده، وكان رضي الله عنه يقول ذهبت المعارف وبقيت المناكِر، ومن بقي من المسلمين فهو مغموم، وكان يقول ما من وسواس نبذ فهو من إبليس، وما كان فيه إلحاح فهو من النفس فيستعان عليه بالصوم والصلاة والرياضة، وكان رضي الله عنه يقول إذا أراد الله بعبد خيراً في الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد، وكان رضي الله عنه يقول من شرط المتواضع أن يخرج من بيته فلا يلقى أحداً إلا رأى له الفضل عليه، وكان يقول إذا أذنب العبد ثم تاب لم يزدد بتوبته من الله تعالى إلا قرباً، وإذا أذنب ثانياً لم يزدد كذلك إلا قرباً، وإذا أذنب ثانياً لم يزدد كذلك إلا قرباً، وقال له رجل أشكو إليك قساوة قلبي، فقال إذن من مجالس الذكر، وكان يقول شر الناس للميت أهله يبكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه، وكان يقول أدركنا أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، وكان يقول لا تشتر مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد[1]، وكان رضي الله عنه يقول إذا أراد الله بعبد خيراً أمات عياله وخلاه للعبادة، وكان يقول الطمع بشير العالم، وكان يقول ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها، وقيل له أهل البصرة منافق، فقال لو خرج المنافقون منها لاستوحشت، وكان يقول أكرم أخواتك يدم لك ودّهم، وكان يقول لو نظرت يا ابن آدم إلى

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني: ١/٢٦.

سير أجلك لأبغضت غرور أملك، وكان رضي الله عنه إذا جلس يجلس كالأسير، فإذا تكلم يتكلم كلام رجل قد أُمِرَ به إلى النار، وكان رضي الله عنه يقول من لبس الصوف تواضعاً لله عزّ وجلّ زاده نوراً في بصره وقلبه، ومن لبسه للتكبر والخيلاء كور في جهنم مع المردة وكان ينشد ويقول:

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء

وكان رحمه الله يقول وددت أن أكلت أكلة تصير في جوفي مثل الأجرة، فانه بلغنا انها تبقى في الماء ثلاثمائة سنة، وقيل له مرة ان الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال وهل رأيتم فقيهاً قط بأعينكم إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه عز وجل، وكان يحلف بالله أنه ما أعز أحد الدراهم إلا أذله الله، وكان إذا استأذن عليه أحد من إخوانه فإن كان عنده طعام أذن له وإلا خرج إليه، ولا يتكلّف فيما حضر وكان يقول كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه إن أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال وإلا أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلّم به، وكان يقول الناس ينظرون لله يوم القيامة كما شاء بلا إحاطة، وكان يقول إذا رأيت في ولدك ما تكره فاعلم أنه شيء تراد به أنت فاحسن، وكان يقول ورع العلماء في الدنيا والأموال، وكان يقول إذا أردت عداوة رجل فإن كان مطيعاً فإياك وإياه فإن الله تعالى لا يسلمه إليك ولا يخلي بينك وبينه، وإن كان عاصياً فقد كفيته مؤنته فلا تتعب نفسك بعداوته، وكان يقول كل من اتبع طاعة الله لزمتك مودته، ومن أحب رجلاً صالحاً فكأنما أحب الله، وكان يقول ما رأينا أحداً طلب الدنيا فأدرك الآخرة بها أبداً بخلاف العكس، وكان يقول يبعث الله أقواماً يطلبون هذا العلم حسبة وليس لهم فيه نية فيتعبهم في طلبه كي لا يضيع العلم وتبقى عليهم تبعته، وكان يقول الإسلام أن تسلم قلبك الله فيسلم منك كل مسلم،

وكان رضي الله عنه يقول المحب سكران لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه.

قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين؛ فمنهم الحسن بن أبي الحسن فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال: نضحك ولا ندري لعلل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة، إنه من عصى الله فقد حاربه.

والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف، ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب. ولقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً فيقول لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلنّ بعضه لله عزّ وجلّ فيتصدّق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يتصدّق به عليه.

وعن عبد المؤمن أن عبيد الله[1] بن الحسن قال: يا ابن آدم عملك عملك فإنما هو لحمك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك، إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها، صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق، مما يقرب إلى الله عزّ وجلّ يا ابن آدم انك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرن من الخير شيئاً وإن هو صغر فإنك إذا رأيته سرّك مكانه، ولا تحقرن من الخير شيئاً فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، فرحم الله رجلاً كسب طيباً وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحالتي مآلها وبقيت

---

(١) عبد المؤمن هذا ابن عبيد الله السدوسي، يروي عن الحسن فتكون الصحة (ثنا عبد المؤمن بن عبيد الله عن الحسن) والله تعالى أعلم.

الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون؟ المعاينة فكأن قد. إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم، يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

وقال حميد: بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد وهو يمص ماء ويمجّه، تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى ارتعدت منكباه. ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً، لأبكيتكم من ليلة صبحيتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه من عورة بادية، ولا عين باكية، من يوم القيامة.

وقال الحسن: غداً كل امرىء فيما يهمّه، ومن هم بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة.

وعن إبراهيم بن عيسى اليشكري قال: سمعت الحسن إذا ذكر صاحب الدنيا يقول: والله ما بقيت له ولا بقي لها، ولا سلم من تبعتها ولا شرها ولا حسابها، ولقد أخرج منها في خرق.

وقال الحسن في قول الله عزّ وجلّ: «هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه» قال إن المؤمن أحسن الظن بربّه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل.

وعن عيسى بن عمر قال: قال الحسن حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور، واقرعوا النفوس فإنها خليعة، وإنكم إن أطعمتوها تنزل بكم إلى شر غاية. وعن العوام بن حوشب قال سمعت الحسن يقول: من كانت له أربع خلال حرمه الله على النار، وأعاذه من الشيطان من يملك نفسه عند الرغبة، والرهبة، وعند الشهوة، وعند الغضب.

وعن أبي بكر الهذلي وقال[1]: كنا نجلس عند الحسن فأتاه آت فقال: يا أبا سعيد دخلنا آنفاً على عبد الله بن الأهتم فإذا هو يجود بنفسه، فقلنا يا أبا معمر كيف تجدك؟ قال أجدني والله وجعاً، ولا أظنني إلا لما بي. ولكن ما تقولون في مائة ألف في هذا الصندوق لم تؤده منها زكاة، ولم يوصل منها رحم؟ فقلنا يا أبا معمر فلم كنت تجمعها؟ قال كنت والله أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة.

فقال الحسن: انظروا هذا البائس أنى أتاه الشيطان؛ فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، عما استودعه الله إياه، وعمره فيه. خرج والله منه كئيباً حزيناً ذمياً مليماً، أيها عنك أيها الوارث لا تخدع كما خدع صويحبك أمامك، أتاك هذا المال حلالاً فإياك وإياك أن يكون وبالاً عليك، أتاك والله ممن كان له جموعاً منوّعاً يدأب فيه الليل والنهار، يقطع فيه المفاوز والقفاز، من باطل جمعه، ومن حق منعه، جمعه فأوعاه، وشده فأوكاه، لم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً.

إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غداً أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أو تدرون كيف ذاكم؟ رجل أتاه الله مالاً وأمره بانفاقه في صفوف حقوق الله فبخل به فورثه هذا الوارث فهو يراه في ميزان غيره. فيا لها عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال.

وعن أبي عبيدة قال قال الحسن: رحم الله امرءاً عرف ثم صبر، ثم أبصر فصبر، فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا. اتقوا هذه الأهواء المضلّة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة وميعادها النار لهم محنة، من أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته.

---

(١) حلية الأولياء: ٢/١٤٤.

يا ابن آدم دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله فإنها نار لا نار لا تطفي، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفذ أبداً، ونفس لا تموت. يا ابن آدم إنك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك، فخذ مما في يديك، لما بين يديك، عند الموت يأتيك الخبر، إنك مسؤول ولا تجد جواباً، إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

وعن صفوان بن عيسى قال حدثنا هشام. قال سمعت الحسن يقول: والله لقد أدركت أقواماً ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط، وإن كان أحدهم ليقول لوددت أني أكلت أكلة في جو مثل الآجرة. قال: ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلثمائة سنة. ولقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليرث المال العظيم. قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد، قال فيقول لأخيه يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال، ولكني أخاف أن يفسد على قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيها، قال: فلا يرزأ منه شيئاً أبداً، وإنه مجهود شديد الجهد.

وعن أبي عبيدة قال قال الحسن: يا ابن آدم سرطاً[1] سرطاً، جمعاً جمعاً في وعاء، وشدا شداً في وكاء، ركوب الذلول ولبوس اللين، ثم قيل مات فأفضى إلى آخره، إن المؤمن عمل لله تعالى أياماً يسيرة فوالله ما ندم أن يكون أصحاب من نعيمها ورخائها، ولكن راقت الدنيا له فاستهانها وهضمها لآخرته وتزود منها فلم تكن الدنيا في نفسه شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله ولم يحتسب نوال الدنيا حتى مضى راغباً راهباً فهنيئاً هنيئاً، فأمن الله بذلك روعته، وستر عورته ويسّر حسابه.

---

(١) السرط: البلع.

وعن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيء فقلت إن الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال: وهل رأيت فقيهاً بعيبك؟ إنما الفقيه الـزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه عزّ وجلّ.

وعن أيوب قال: لو رأيت الحسن لقلت إنك لم تجالس فقيهاً قط.

وعن طلحة بن عمرو الحضرمي قال: قدم علينا الحسن فجلست إليه مع عطاء فسمعته يقول: بلغنا أن الله تعالى يقول: يا ابن آدم خلقتـك وتعبد غيري، وأذكرك وتنساني وأدعوك وتفر مني، إن هذا الأظلم ظلم في الأرض، ثم تلا الحسن ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[1].

وعن صالح المري عن الحسن قال: ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

وعن مبارك بن فضاله قال: سمعت الحسن يقول: إن أفسق الفاسقين الذي يركب كل كبيرة، ويسحب على ثيابه ويقول: ليس عليّ بأس، سيعلم أن الله تعالى ربما عجل العقوبة في الدنيا وربما أخّرها ليوم الحساب.

وعن هشام عن الحسن قال: رحم الله رجلاً لبس خلقاً، وأكل كسرة، ولصق بالأرض، وبكى على الخطيئة، ودأب في العبادة.

وعن حـوشب بن مسلم قال سمعت الحسن يقـول: أمـا والله لئن تدقدقت بهم الهماليج ووطئت الرجال أعقابهم إن ذل المعاصي لفي قلوبهم، ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذلّه.

---

(١) سورة لقمان آية: ١٣.

وعن مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول: فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحاً.

وعن علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي[1] فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهراً ـ أو نحوه ـ ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصا له فسلّم ثم جلس معظّماً لها، فقال إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتباً أعرف أن في نفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله عزّ وجلّ فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة، فقال ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عزّ وجلّ، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن الملك نظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاماً خوفك الله تعالى فقال: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾[2]، يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد

---

(١) الشَّعْبِي عامر بن شراحيل أبوعمرو الكوفي، ولد لست سنين مضت من خلافة عمر على المشهور، وأدرك خمسمائة من الصحابة، مات سنة ثلاثمائة.

(٢) سورة إبراهيم آية: ١٤.

ابن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه. قال فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزها وكثر منه ما للحسن، وكان في جائزته للشعبي بعض الأقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال «يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه؛ قال وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنك حتى يلحقك الخوف.

فقال له بعض القوم أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ، قال فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين رضي الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين. حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

وكان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه: «يا من لا يأنس بشيء أبقاه، ولا يستوحش من شيء أفناه، ويا أنيس كل غريب، ارحم في القبر غربتي، ويا ثاني كل وحيد، آنس في القبر وحدتي». ولقد أحسن من قال[1]:

---

(١) هذه الأبيات لأحد البلغاء بشرق الأندلس أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمي الكاتب.

أيُّها الواقف اعتباراً بقبري
استمع فيه قول عظمي الرميمِ
أودعوني بطنَ الضّريح وخافوا
من ذنوبي وآيسوا من نعيمِ
قلت: لا تجزعوا عليّ فإنّي
حسن الظن بالرؤوف الرحيمِ
ودعوتي بما اكتسبت رهيناً
غلق الرهن عند مولى كريمِ

وقد خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالشقراء على الباب، فقال: ما يجلسكم ها هنا تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد لقحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وحززتم شعوركم فضحتم القراء فضحكم الله، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم أبعد الله من أبعد.

وقال الحسن رحمه الله تعالى: إن لله عزّ وجلّ عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار مخلدين، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، حوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصاراً تعقب راحة طويلة، أما الليل فمصافة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، ، يجأرون إلى ربهم ربنا ربنا، وأما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، أو خلطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم. وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن وكنت أنا السفير بينهما، قال فكأن قد رضيه، فذهبت يوماً أثني عليه بين يديه فقلت يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم، قال له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال، قلت يا أبا

سعيد إنه كما علمت ورع مسلم، قال إن كان جمعاً من حلال فقد ضن بها عن حق، لا والله لا جرى بيننا وبينه صهر أبداً. وكان رحمه الله يتمثل بهذين البيتين أحدهما في أول النهار والآخر في آخر النهار:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى
إذا عرف الداء الذي هو قاتله
وما الدنيا بباقية لحي
ولا حي على الدنيا بباق

وكان يقول: ابن آدم تجذ والكبش يعتلف والتنوير يسجر. وقال هشام: سمعت الحسن يحلف بالله ما أعز أحد الدراهم إلا أذله الله.

وعن غالب قال قال الحسن: ابن آدم أصبحت بين مطيتين لا يعرجان بك خطر الليل والنهار حتى تقدم الآخرة، فأما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن أعظم خطراً منك.

وأتاه رجل ـ أي إلى الحسن ـ فقال: إني أريد السند فأوصني ـ قال حيث ما كنت فأعز الله يعزك، قال فحفظت وصيته فما كان بها أحد أعز مني حتى رجعت.

وروي الحسن أن: ضحك المؤمن غفلة من قلبه، وكثرة الضحك تميت القلب.

وعن أبي حازم قال سمعت الحسن يقول: بئس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك.

وعن أبي داود المبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وعن ابن شوذب قال: لما مات الحجّاج وولي سليمان فاقطع الناس

الموات فجعل الناس يأخذون. فقال ابن الحسن لأبيه: لو أخذنا كما يأخذ الناس، فقال اسكت ما يسرني لو أن لي ما بين الجسرين بزنبيل تراب.

وروى حميد بن رومان عن الحسن قال: أبى الله تعالى أن يعطي عبداً من عباده شيئاً من الدنيا إلا بعوض خطر مثله من بلاء إما عاجلاً وإما آجلاً. وعن سفيان قال سمعت أبا موسى يقول: كنا عند الحسن فجاء ابنه فقال: أي أبه إن هذا السهم قد انكسر فنظر اليه الحسن فقال الأمر أعجل من ذلك.

وروى سعيد بن زربي الخزاعي البصري عن الحسن البصري قال: سمعت الحسن يعظ أصحابه يقول: إن الدنيا دار عمل من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها وأجحف بخطه من الله عز وجل ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله، فأمرها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب والله تعالى ولي ميراثها، وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الثواء منها يخرجون. فاحذروا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك الموطن، وأكثروا ذكر ذلك المنفلت، واقطع يا ابن آدم من الدنيا أكثر همك، أو لتقطعن حبالها بك فيتقطع ذكر ما خلقت له من نفسك ويزيغ عن الحق قلبك، وتميل إلى الدنيا فترديك وتلك منازل سوء بين ضرها، منقطع نفعها، مفضية والله بأهلها إلى ندامة طويلة وعذاب شديد، فلا تكونن يا ابن آدم مغتراً، ولا تأمن ما لم يأتك الأمان منه، فإن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك لم تخلص منها حتى الآن، ولا بد من ذلك المسلك وحضور تلك الأمور إما يعافيك من شرها وينجيك من أهوالها، وإما الهلكة.

وهي منازل شديدة مخوّفة محذورة مفزعة للقلوب، فلذلك فاعدد، ومن شرها فاهرب، ولا يلهينك المتاع القليل الفاني ولا تربص بنفسك فهي

سريعة الانتقاص من عمرك فبادر أجلك، ولا تقل غداً غداً فإنك لا تدري متى إلى الله تصير! واعلموا أن الناس أصبحوا جادين في زينة الدنيا يضربون في كل غمرة وكل معجب بما هو فيه، راض به حريص على أن يزداد منه، فما لم يكن من ذلك لله عزّ وجلّ وفي طاعة الله فقد خسر أهله وضاع سعيه، وما كان من ذلك في الله وفي طاعة الله فقد أصاب أهله به وجه أمرهم، ووقفوا فيه بحظهم، عندهم كتاب الله وعهده وذكر ما مضي وذكر ما بقي، والخبر عمن وراءهم.

كذلك أمر الله اليوم وقبل ذلك أمره فيمن مضى لأن حجة الله بالغة، والعذر بارز، وكل موافِ الله ولما عمل، ثم يكون القضاء من الله في عباده على أحد أمرين: فمقضي له رحمته وثوابه فيالها نعمة وكرامة ومقضي له سخطه وعقوبته فيالها حسرة وندامة، ولكن حق على من جاءه البيان من الله بأن هذا أمره وهو واقع أن يصغر في عينه ما هو عند الله صغير، وأن يعظم في نفسه ما هو عند الله عظيم،أو ليس ما ذكر الله من الكراهة لأهلها فيما بعد الموت والهوان ما يطيب نفس امرىء عن عيشة دنياه، فإنها قد أذنت بزوال، لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجائعها، يبلى جديدها، ويسقم صحيحها، ويفتقر غنيّها، ميالة بأهلها، لعابة بهم على كل حال، ففيها عبرة لمن اعتبر، وبيان فعل لمن تنتظر.

٦ ـ خوفه من الله:

عن أبي موسى قال سمعت الحسن يقول: الإسلام وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يسلم قلبك لله، وإن يسلم منك كل مسلم وكل ذي عهد.

وعن يحيى بن المختار عن الحسن قال: والله ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة حين أبكاهم الخوف من الله.

وعن طلحة بن صبيح عن الحسن قال: المؤمن من يعلم أن ما قال الله عزّ وجلّ كما قال، والمؤمن أحسن الناس عملاً وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً يقول لا أنجو، والمنافق يقول سواد الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس علي، فينسيء العمل ويتمنى على الله تعالى.

وعن المبارك بن فضاله قال: كان الحسن إذا تلا هذه الآية: ﴿فلا يغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[1] فإن الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب.

وعن مسلمة بن جعفر قال سمعت أن الحسن كان يقول: لما بعث الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ يعرفون وجهه ويعرفون نسبه قال هذا نبي هذا خياري خذوا من سنّته وسبيله، أما والله ما كان يغدي عليه بالجفان ولا يراح، ولا يغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجبة كان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف خلفه، وكان يلعق يده، وكان يقول الحسن: ما أكثر الراغبين عن سنّة نبي الله ﷺ وما أكثر التاركين لها. ثم إن علوجاً فساقاً أكلة ربا وغلول، قد شغلهم ربي عزّ وجلّ ومقتهم. زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وستروا البيت وزخرفوها، ويقولون: ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[2]، ويذهبون بها إلى غير ما ذهب الله بها إليه، إنما جعل الله ذلك لأولياء الشيطان الزينة ما ركب ظهره والطيبات ما جعل الله تعالى في بطونها فيعمد أحدهم إلى نعمة الله عليه فيجعلها ملاعب لبطنه وفرجه وظهره ولو شاء الله إذا أعطى العباد ما أعطاهم أباح ذلك لهم ولكن تعقبها

---

(١) سورة لقمان آية: ٣٣.
(٢) سورة الأعراف آية: ٣٢.

بما يسمعون؛ ﴿فكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[1] فمن أخذ نعمة الله وطعمته أكل بها هنيئاً مريئاً، ومن جعلها ملاعب لبطنه وفرجه وعلى ظهره جعلها وبالاً يوم القيامة.

وعن أبان بن محبر عن الحسن: أنه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له يا أبا سعيد زوّدنا منك كلمات تنفعنا بهن. قال: إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له، ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون.

وقال شوذب الجشمي سمعت الحسن يقول: من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمّر له، النجا النجا ثم الوحا الوحا على ما تعرجون وقد أسرع بخياركم وذهب نبيكم ﷺ وأنتم كل يوم ترذلون، العيان العيان. وقال صالح بن رستم: سمعت الحسن يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

ابن آدم وأنت المعني وإياك يراد.

وعن أبي جميع سالم قال سمعت الحسن يقول: لقد أدركت أقواماً كانوا أأمر الناس بالمعروف وآخذهم به وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه فكيف الحياة مع هؤلاء. وعن أبي قيس عن الحسن قال: لا تخالفوا الله عن أمره فإن خلافاً عن أمره عمران دار قضى الله عليها الخراب.

---

(١) سورة الأعراف آية: ٣١.

وسأل أبا الحسن رجلٌ قال يا أبا سعيد ما الإيمان؟ قال الصبر والسماحة بأداء فرائض الله عزّ وجلّ. ودخل الحسن المسجد ومعه فرقد إلى جنب حلقة يتكلمون فصنت لحديثهم ثم أقبل على فرقد فقال: يا فرقد والله ما هؤلاء إلا قوم ملوا العبادة ووجدوا الكلام أهون عليهم، وقل ورعهم فتكلموا.

وعن يحيى بن المختار عن الحسن قال: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة.

إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من وصلة إليك هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت إلى هذا مالي ولهذا والله ما لي عذر بها ووالله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عزّ وجلّ يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله.

وعن أبي عبيدة الناجي عن الحسن قال: يا ابن آدم إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم، قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم فذلوا وهلكوا وافتضحوا يا ابن آدم إنما الحكم حكمان فمن حكم بحكم الله فإمام عدل، ومن حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية، إنما الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق، فأما المؤمن فعامل الله بطاعته، وأما الكافر فقد أذلّه الله كما قد رأيتم، وأما المنافق فههنا معنا في الحجر والطرق والأسواق نعوذ بالله والله ما عرفوا ربهم. اعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة.

وإن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً وإن كان محسناً لا يصلحه إلا ذلك ولا يمسي إلا خائفاً وإن كان محسناً لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ماذا يصنع الله تعالى فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهلكات. إن المؤمنين شهود الله في الأرض يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله فمن وافق كتاب الله حمد الله عليه وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب الله وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق.

وروي عن الحسن أنه قال: خصلتان من العبد إذا صلحتا صلح ما سواهما الركون إلى الظلمة والطغيان في النعمة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار**﴾[1] وقال الله عزّ وجل: ﴿**ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي**﴾[2].

وقرأ الحسن هذه الآية: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ ثم وقف فقال إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آيةٍ واحدةٍ، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

٧ ـ من غرائب حديثه:

يروي الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿يسٓ﴾ في ليلة التماس وجه الله غفر له»[1].

وعن سهل السراج قال سمعت الحسن يحدث عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو

---

(١) سورة هود آية: ١١٣.

(٢) سورة طه آية: ٨١.

(٣) سورة النحل آية: ٩٠.

(٤) هذا حديث رواه عن الحسن عدة من التابعين منهم يونس بن عبيد ومحمد بن جحادة.

خمساً مما فرض الله عزّ وجلّ فيتعلّمهن ويعلمهن إلا دخل الجنة»[١].

قال أبو هريرة: فما نسيت حديثاً بعد إذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وروى الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢].

وروى الحسن عن عمران بن حصين. قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما»[٣].

وروى الحسن عن عمران بن حصين وجابر بن عبد الله وأبي هريرة. قالوا نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد وأن يمحى اسم الله بالبصاق»[٤].

وروى الحسن عن أنس بن مالك. قال قال رسول الله ﷺ: «من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار»[٥].

---

(١) قال أبو نعيم: رواه عدة عن الحسن فمن التابعين يونس بن سهل السراج بصري غزير الحديث يجمع حديثه. الحلية: ٢/١٥٩.

(٢) في الحلية قال مؤلفها: غريب من حديث يونس عن الحسن تفرد به أبو جعفر الرازي حدثت به الأئمة أحمد بن حنبل وابن أبي شيبة وأبو خثيمة عن النضر. ٢/١٥٩.

(٣) قال أبو نعيم: غريب من حديث عمران والحسن تفرد به أبو عبيدة وهو سعيد بن زربي وروي مثله عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ.

(٤) قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن عن عمران وجابر وأبي هريرة لم نكتبه إلا من حديث عباد بن كثير.

(٥) قال أبو نعيم: لم نكتبه عالياً من حديث اسماعيل إلا من حديث الأنصاري ورواه الكبار عن اسماعيل.

وروى الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب كل ذي رأي برأيه»[1].

وروى بسنده السابق. قال قال رسول الله ﷺ: «وجدت الحسنة نوراً في القلب وزيناً في الوجه وقوة في العمل، ووجدت الخطيئة سواداً في القلب وشيناً في الوجه ووهناً في العمل»[2].

٨ ـ كتاب الحسن إلى عمر[3] بن عبد العزيز:

لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه الحسن البصري كتاباً بدأ فيه بنفسه أما بعد؛ فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء والسلام.

وقال: اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفني وإن كان كثيراً يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية، فاحذر هذه الدار الصارعة

---

(١) قال أبو نعيم: غريب من حديث أنس تفرد به عنه حميد ورواه محمد بن عرعرة عن حميد نحوه. ٢ / ١٦٠.

(٢) قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن عن أنس لم نكتبه إلا من هذا الوجه تفرد به عمرو بن أبي قيس.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي أمرة المدينة للوليد، مات في رجب سنة إحدى ومائة.

الخادعة الخاتلة التي قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلها أهلها بأولها، وتشوقت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة.

العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة. فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر عنها مدكر. فأبت القلوب لها إلا حباً، وأبت النفوس بها إلا ضناً. وما هذا منالها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يعقل غيره، ومات في طلبه أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها؛ فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغي ونسي بها المبدأ والمعاد. فشغل بها لبه، وذهل فيه عقله، حتى زلت عنها قدمه، وجاءته أسر ما كانت له منيته فعظمت ندامته، وكسرت حسرته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته.

واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف ما نزل به. وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه لم يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب. خرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد.

فاحذر الحذر كله فإنها مثل الحية لين مسها وسمها يقتل، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عاينت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، وشدد ما اشتد منها لرخاء ما يصيبك وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر بشيء منها وثنى رجلاً عليه انقلبت به، فالسار فيها غار، والنافع فيها غدا ضار، وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى الفناء، وسرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهن، فانظر اليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر

العاشق الوامق واعلم أنها تزيل الشاوي الساكن، وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولى منها فادبر، ولا يدري ما هو آت فيها فينتظر.

فاحذرها فإن أمانيها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر. إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية قاضية، فلقد كدت عليه المعيشة إن عقل، وهو من النعماء على خطر، ومن البلوى على حذر، ومن المنايا على يقين، فلو كان الخالق تعالى لم يخبر عنها بخير، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر فيها بزهد؛ لكانت الدار قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر، وفيها واعظ. فما لها عند الله عزّ وجلّ قدر، ولا لها عند الله تعالى وزن من الصغر، ولا تزن عند الله تعالى مقدار حصاة من الحصا، ولا مقدار ثراه في جميع الثرى، ولا خلق خلقاً ـ فيما بلغت ـ أبغض إليه من الدنيا، ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها، ولقد عرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ولم ينقصه ذلك عنده جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها، ولا ينقصه عند الله تعالى شيء إلا أنه علم أن الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه، وصغر شيئاً فصغره، ووضع شيئاً فوضعه، ولو قبلها كان الدليل على حبه إياها قبولها، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ما وضع مليكه. ولو لم يدله على صغر هذه الدار إلا أن الله تعالى حقرها أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها عذاباً للعاصين.

فاخرج ثواب الطاعة منها وأخرج عقوبة المعصية عنها. وقد يدلك على شر هذه الدار أن الله تعالى زواها عن أنبيائه وأحبائه اختباراً، وبسطاً لغيرهم اعتباراً واغتراراً؛ ويظن المغرور بها والمفتون عليها أنه إنما أكرمه بها، ونسي ما صنع بمحمد المصطفى ﷺ وموسى المختار عليه السلام بالكلام له وبمناجاته.

فأما محمد ﷺ فشد الحجر على بطنه من الجوع، وأما موسى عليه السلام فرئي خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، ما سأل الله تعالى يوم أوى إلى الظل إلا طعاماً يأكله من جوعه، ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى إليه، أن يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى قد أقبل فقل ذنب عجلت عقوبته. وإن شئت ثلثته بصاحب الروح والكلمة ففي أمره عجيبة. كان يقول أدمى الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر، وصلايتي في الشتاء الشمس، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام.

أبيت وليس لي شيء وليس لي أحد أغنى مني، ولو شئت ربعت بسليمان ابن داود عليهما السلام، فليس دونهم في العجب. يأكل خبز الشعير في خاصته ويطعم أهله المشكار[1] والناس الدرمك[2] فإذا جنه الليل لبس المسوح وغل اليد إلى العنق وبات باكياً حتى يصبح، يأكل الخشن من الطعام، ويلبس الشعر من الثياب. كل هذا يبغضون ما أبغض الله عز وجلّ، ويصغرون ما صغر الله تعالى، ويزهدون فيما فيه زهد. ثم اقتص الصالحون بعد منهاجهم، وأخذوا بآثارهم وألزموا الكد والعبر. وألطفوا التفكر، وصبروا في مدة الأجل القصير، عن متاع الغرور الذي إلى الفناء يصير، ونظروا إلى آخر الدنيا ولم ينظروا إلى أولها، ونظروا إلى عاقبة مرارتها ولم ينظروا إلى عاجلة حلاوتها، ثم ألزموا أنفسهم الصبر أنزلوها من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها إلا في حال الضرورة إليها، فأكلوا منها بقدر ما يرد النفس ويقي الروح. ومكن اليوم وجعلوها بمنزلة الجيفة التي قد اشتد نتن ريحها فكل من مر بها أمسك على أنفه منها، فهم يصيبون منها

---

(١) المشكار: رديء الدقيق. (٢) الدرمك: الدقيق الحواري.

لحال الضر ولا ينتهون منها إلى الشبع من النتن، فقرنت عنهم وكانت هذه منـزلتها من أنفسهم، فهم يعجبون من الآكل منهـا شبعاً، والمتلذذ بهـا أشراً.

ويقولون في أنفسهم أما ترى هؤلاء لا يخافون من الأكل، أما يجدون ريح النتن؟ وهي والله يا أخي في العاقبة والآجلة أنتن من الجيفة المرصوفة، غير أن أقواماً استعجلوا الصبر فلا يجدون ريح النتن، والذي نشأ في ريح الإرهاب النتن لا يجد نتنه، ولا يجد من ريحه ما يؤذي المارة والجالس عنده، وقد يكفي العاقل منها أنه من مات عنها وترك مالاً كثيراً سره أنه كان فيها فقيراً، أو شريفاً أنه كان فيها وضيعاً، أو كان فيها معافى سره أنه كان فيها مبتلى، أو كان مسلطناً سره أنه كان فيها سوقة. وإن فارقتها سرك أنك كنت أوضع أهلها ضعة، وأشدهم فيها فاقة، أليس ذلك الدليل على خزيها لمن يعقل أمرها.

والله لـو كانت الـدنيا من أراد منهـا شيئاً وجـده إلى جنبه من غـير طلب ولا نصب غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه وسأله عنه ووقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل أن لا يأخذ منها إلا قدر قوته ويكفي، حذر السؤال وكراهية لشدة الحساب، وإنما الدنيا إذا فكـرت فيها ثـلاثة أيام، يوم مضى لا ترجوه، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا؟ ولا تدري لعلك تموت قبله. فأمس فحكيم مؤدب، وأما اليسوع فصديق مودع، غير أن أمس وإن كان قـد فجعك بنفسه فقد أبقى في يديك حكمته، وإن كنت قد أضعته فقد جاءك خلف منه وقد كان عنك طويل الغيبة وهو الآن عنك سريع الرحلة، وغداً أيضاً في يديك منه أمله. فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل، وإياك أن تدخل على اليوم هم غد أو هم ما بعده ـ زدت في حزنك

وتعبك وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك، هيهات كثر الشغل وزاد الحزن وعظم التعب وأضاع العبد العمل بالأمل.

ولو أن الأمل منك في الغد دعاك إلى التفريط، ودعاك إلى المزيد في الطلب، ولئن شئت واقتصرت أنت فيها. فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذة، ولا لبلائهما ألـمـا. وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فخدعتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك إلى النار، وإنما اليوم إن عقلت ضيف نزل بك وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت نزله وقراه شهد لك وأثنى عليك بذلـك وصدق فيك، وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قراه جال في عينيك وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تحسن قراه فيما بينك وبينه، فجاءك الآخر بعده فقال إني قد جئتك بعد أخي فإن إحسانك إلي يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ما صنعت فدونك إذ نزلت بك وجئتك بعد أخي المرتحل عنك فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت، فدارك ما قد أضعت.

وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقك إن تهلك بشهادتهما عليك. إن الذي بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل، فلو جمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً بقي من عمر صاحبه، فلا تبع اليوم ولا تعدله من الدنيا بغير ثمنه، ولا يكونن المقبور أعظم تعظيماً لما في يديك منك وهولك، فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له هذه الدنيا أولها إلى آخرها تجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من ورائك، فقد كنت وليس لك هم غيرهم، أحب إليك أم يوم تترك فيه تعمل لنفسك لاختار ذلك، وما كان ليجمع مع اليوم شيئاً إلا اختار اليوم عليه رغبة فيه وتعظيماً له، بل لو اقتصر على ساعة خيرها ومـا بين أضعاف ما وصفت لك وأضعافه يكون لسواه إلا اختار الساعة لنفسه على أضعاف ذلك يكون لغيره بل لو اقتصر على كلمة يقولها تكتب له، وبين ما وصفت لك وأضعافه لاختار الكلمة الواحدة عليه، فانتقد اليوم لنفسك وأبصر الساعة وأعظم الكلمة واحذر الحسرة عند نزول السكرة، ولا تأمن

أن تكون لهذا الكلام حجة نفعنا الله وإياك بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٩ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن:

كيف حبّك الدينار والدرهم؟ قال: لا أحبهما، فكتب إليه: تولَّ فإنك تعدل. وقال إبراهيم بن عيسى: ما رأيت أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة. وقال مسمع: لو رأيت الحسن لقلت: قد بثَّ عليه حزن الخلائق. وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أحزن من الحسن، وعمر بن عبد العزيز، كأن النّار لم تخلق إلا لهما. وقال ابن أسباط: مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وأربعين سنة لم يمزح. وقال: ما سمع الخلائق بعورة بادية، وعين باكية ـ مثل يوم القيامة. وقال: ابن آدم! إنك ناظر غداً إلى عملك بوزن خيره وشره، فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه؛ فإنك إذا رأيته غداً في ميزانك سرك مكانه.

وقال: ذهبت الدنيا وبقيت أعمالكم قلائد في أعناقكم.

وقال: ابن آدم! بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً. ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً، وهذا مأثور عن لقمان أنه قاله لولده.

وقال عمر بن عبد العزيز: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظروا لي أعواناً يعينوني عليه فكتب إليه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونه فاستعن بالله والسلام.

١٠ ـ أقوال الحسن عن التواكل:

روى الطبراني عن الحسن أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة، يقول أحدهم: إني لَحسنُ الظن بالله، وأرجو رحمة الله، وكذب، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من

دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك. وروي عنه ابن أبي الدنيا، قال: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور[1]، واقذعوا[2] هذه الأنفس فإنها تنزع إلى شر غاية. وقال مالك بن دينار: قلت للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه.

وروى الفتني عن أبيه قال: عاد الحسن عليلاً فوجده قد شفي من علته، فقال: أيها الرجل! إن الله قد ذكرك فاذكره. ثم قال الحسن: إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم، فإما أن يكون العليل بعد المرض فرساً جواداً، وإما أن يكون حماراً عَثوراً معقوراً.

وقال مالك بن دينار: قلت للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه. وقال فرقد: دخلنا على الحسن فقلنا: يا أبا سعيد! ألا يعجبك من محمد بن الأهتم؟ فقال: ماله؟ فقلنا: دخلنا عليه آنفاً وهو يجود بنفسه، فقال: انظروا إلى ذاك الصندوق - وأومأ إلى صندوق في جانب بيته - فقال: هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال: درهم - لم أؤد منها زكاة، ولم أصل منها رحماً، ولم يأكل منها محتاج. فقلنا: يا أبا عبد الله، فلمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان، ومعاشرة الأقران، وجفوة السلطان. فقال: انظروا من أين أتاه شيطانه فخوَّفه روعة زمانه، ومكاشرة أقرانه، وجفوة سلطانه!؟ ثم قال: أيها الوارث! لا تخدع كما خُدع صويحبك بالأمس، جاءك هذا المال لم تتعب لك فيه يمين، ولم يعرق لك فيه جبين، جاءك مما كان له جموعاً منوعاً؛ من باطل جمعه، من حق منعه. ثم قال الحسن: إن يوم القيامة لذو حسرات، الرجل يجمع المال

---

(١) الدثور للقلوب: إمحاء الذكر منها.

(٢) أي نهروها وأبعدوها عن الفحش.

ثم يموت ويدعه لغيره، فيرزقه الله فيه الصلاح والإنفاق في وجوه البر، فيجد ماله في ميزان غيره.

١١ ـ أقوال الحسن في فضائل القرآن:

عن يحيى بن المختار عن الحسن قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا عِلم لهم بتأويله، لم يأتوا الأمر من قبل أوله، قال الله عز وجل: ﴿كتاب أنزلناه مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولو الألباب﴾[١]. وما تدبر آياته إلا اتباعه. أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً واحداً، وقد والله أسقطه الله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نفس، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورعة، ومتى كانت القراءة هكذا؟ أو يقول مثل هذا، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء ثم روى الحسن عن جندب قال. قال لنا حذيفة: هل تخافون من شيء؟ قال: قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا، فقال: أما والذي نفسي بيده لا تؤتون إلا من قبلنا، ومن ذلك نشء آخر يقرؤون القرآن يكونون في آخر هذه الأمة ينثرونه نثر الدَّقل[٢]، لا يجاوز تراقيهم، تسبق قراءتهم إيمانهم.

وللحسن رحمه الله مع الحجاج وقعات هائلة وسلمه الله من شره، وربما حضر مجلسه فلم يقم بل يوسع له ويجلس إلى جنبه ولا يغير كلامه الذي هو فيه. وقال أبو بكر الهذلي قال لي السفاح: بأي شيء بلغ حسنكم ما بلغ، فقلت ـ أي أبو بكر الهذلي ـ جمع القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم لم يخرج من سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها، وفيما أنزلت ولم يقلب درهماً في تجارة ولا ولي سلطاناً ولا أمر بشيء حتى فعله، ولا نهى عن شيء حتى

(١) سورة ص آية: ٢٩.

(٢) الدقل: أردأ التمر.

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن الحسن قال: المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه فيقول: والله إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم قد أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه، وفي جوارحه كلها. وقال: لرضا صعب شديد، وإنما مِعول المؤمن الصبر. وقال: ابن آدم عن نفسك فكايس[1]، فإنك إن دخلت النار لم تجبر بعدها أبداً.

وقال: المؤمن في الدنيا كالغريب، لا ينافس في غيرها، ولا يجزع من ذلها، للناس حال وله حال، النّاس منه في راحة، ونفسه منه في شغل، وقال: لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يهلك المرء نفسه. وقال: أدركت صدر هذه الأمة وخيارها، وطال عمري فيهم، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله لهم، أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنّة نبيهم، ما طوى أحدهم ثوباً، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر أهله بصنع طعام. كان أحدهم يدخل منزله، فإن قُرّب إليه شيء أكل وإلا سكت، فلا يتكلم في ذلك. وقال: إن المنافق إذا صلى صلى رياء، أو حياء من الناس، أو خوفاً. وإذا صلى صلّى فقرأهم الدنيا، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها، ولم يحزنه فواتها.

---

(١) أي غالب بالكيس ـ وهو العقل وعدم الحمق.

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت: من جعل الحمد لله على النعم حصناً وحابساً، وجعل أداء الزكاة على المال سياجاً وحارساً، وجعل العلم له دليلاً وسائساً ـ أمن العطب، وبلغ أعلى المراتب. ومن كان للمال قانصاً، وله عن الحقوق حابساً، وشغله وألهاه عن طاعة الله ـ كان لنفسه ظالماً، ولقلبه بما جنت يداه كالماً، وسلّط الله على ماله سالباً وخالساً، ولم يأمن العطب في سائر وجوه الطلب، وقيل: إن هذا لغيره، والله أعلم.

وقال الحسن: أربع من كنّ فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته: من رق لوالديه، ورق لمملوكه، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف. وسئل الحسن عن النفاق، فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمَدخل والمخرج. وقال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق ـ يعني النفاق. وخلف الحسن: ما مضي مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق. وفي راوية: إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضي منافق ولا بقي إلا وهو من المنافق آفق.

١٢ ـ ثناء العلماء عليه:

قال ابن سعد: كان جامعاً عالماً رفيعاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً ـ إلى أن قال: وما أرسله فليس هو بحجة، وقال الذهبي:(١) وهو مدلس، فلا يحتج عن من لم يدركه، وقد يدلّس عمن لقيه ويسقط بينه وبينه والله أعلم. ولكنه حافظ علامة من بحور العلم فقيه النفس كبير الشأن عديم النظير مليح التذكير بليغ الموعظة رأس في أنواع الخير، وقال أبو عوانة عن قتادة: ما جالست فقيهاً قط إلا رأيت فضل الحسن عليه. وقال أيوب: ما رأت عيناي رجلاً قط كان أفقه من الحسن. وقال غالب القطان عن بكر المزني: من سره أن ينظر إلى أعلم عالم أدركناه

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٧٢/١.

ودعه فقال بهذا بلغ الشيخ ما بلغ، وكان جل كلامه حكم ومواعظ بقوة عبارة وفصاحة.

١٣ - في ذم الغيبة ومحاسبة النفس:

روى ابن أبي الدنيا عن الحسن في ذم الغيبة قال: والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة[1] في جسده. وكان يقول: ابن آدم! إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شغلك في طاعة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. وقال الحسن: ليس بينك وبين الفاسق حرمة. وقال: ليس المبتدع غيبة. وقال أصلت بن طريف: قلت للحسن: الرجل الفاجر المعلن بفجوره، ذِكْرِي له بما فيه غيبة؟ قال: لا، ولا كرامة. وقال: إذا ظهر فجوره فلا غيبة له. وقال: ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم: المجاهر بالفسق، والإمام الجائر، والمبتدع.

وقال له رجل: إن قواماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً، فقال: هوِّن عليك يا هذا. فإني أطمعت نفسي في الجنان فطمِعت، وأطمعتها في النجاة من النار فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس، فلم أجد إلى ذلك سبيلاً، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم، فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟ وقال: كانوا يقولون: من رمي أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب. وقال الحسن: قال لقمان لابنه: يا بني، إياك والكذب، فإنه شهيّ كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه. وقال الحسن: اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم، فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه، فإن سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه، فإن وافق قول عملاً فنعم ونعمت

---

(١) الأكلة - بكسر الكاف - داء يصيب العضو فيتآكل منه.

عين أخته وأخيه. وإذا خالف قول عملاً فماذا يشبه عليك منه؟ أم ماذا يخفي عليك منه؟ إياك وإياه لا يخدعنك كما خدع ابن آدم، إن لك قولاً وعملاً، فعملك أحق بك من قولك، وإن لك سريرة وعلانية، فسريرتك أحق بك من علانيتك، وإن لك عاجلة وعاقبة، فعاقبتك أحق بك من عاجلتك.

وقال الحسن: إذا شِبتَ لقيت الرجل أبيض، حديد اللسان، حديد النظر، ميّت القلب والعمل، أنت أبصر به من نفسه، ترى أبداناً ولا قلوباً، وتسمع الصوت ولا أنيس، أخصب ألسنةً وأجْدب قلوباً، يأكل أحدهم من غير ماله، ويبكي على عماله، فإذا كهظته البطنة[1]، قال: يا جارية أو يا غلام، ائتني بهاضم، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك؟ وقال: من رق ثوبه رق دينه، ومن سمن جسده هزل دينه، ومن طاب طعامه أنتن كسبه.

وقال فيما رواه عنه الآجري: رأس مال المؤمن دين حيث ما زال زال معه، لا يخلفه في الرحال، ولا يأتمن عليه الرجال، وقال في قوله تعالى: ﴿ولا أقْسِمُ بالنَّفس اللوَّامة﴾[2]، قال: لا تلقي المؤمن إلا بلوم نفسه، ما أردت بكلمة كذا، ما أردت بأكلة كذا، ما أردت بمجلس كذا، وأما الفاجر فيمضي قُدُماً قُدُماً لا يلوم نفسه. وقال: تصبروا وتشددوا، فإنما هي ليال تعدّ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم، فلا يجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما يصبر على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته. وقال: لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته.

---

(١) البطنة: امتلاء البطن بالطعام حتى لا يطيق النفس.

(٢) سورة القيامة جزء من الآية: ٢.

في زمانه فلينظر إلى الحسن فما أدركنا الذي هو أعلم منه.

وقال الحجاج بن أرطأة سألت عطاء بن أبي رباح فقال لي عليك بذاك يعني الحسن ذاك إمام ضخم يقتدى به، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله فليس من يوم إلا اسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك[1]. وقال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر يعني الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء، وقال هشيم عن ابن عون كان الحسن والشعبي يحدثان بالمعنى.

وقال العجلي: تابعي ثقة رجل صالح صاحب سنة سنة، وقال الدارقطني: مراسيله فيها ضعف. قال ابن عون قلت له ـ أي للحسن ـ عمن تحدث هذه الأحاديث قال عنك وعن ذا وعن ذا، وقال ابن حبان في الثقات: احتلم سنة سبع وثلاثين، وأدرك بعض صفين، ورأى مائة وعشرين صحابياً، وكان يدلس، وكان من أفصح أهل البصرة وأجملهم وأعبدهم وأفقههم. وقال حماد بن سلمة عن حميد قرأت القرآن على الحسن ففسره على الإثبات يعني على إثبات القدر، وكذا قال حبيب بن الشهيد ومنصور بن زاذان.

وقال رجاء بن أبي سلمة عن ابن عون سمعت الحسن يقول: من كذب بالقدر فقد كفر. وقال أبو داود: لم يحج الحسن إلا حجتين وكان من الشجعان. وقال جعفر بن سليمان: كان المهلب يقدمه يعني في الحرب.

وقال ابن العماد: [2]حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أعرض زنداً من الحسن كان عرضه شبراً، وكان تكلم في شيء

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢/٢٣٢.

(٢) شذرات الذهب لابن العماد: ١/١٣٨.

من القدر ثم رجع عنه، وكان عطاء بن يسار قاضياً ويرى القدر وكأن لسانه سحر، وكان يأتي الحسن هو ومعبد الجهني فيسألانه، ويقولان يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم، ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى فقال كذب أعداء الله فتعلق عليه بمثل هذا وأشباهه، وكان يشبه برؤية ابن العجاج في فصاحة لهجته وعربيته.

ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما، وكان الحسن كاتب الربيع بن زياد الحارثي بخراسان وقيل ليونس بن عبيد أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن. فقال والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ثم وصفه فقال: كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له.

وقال رجل قبل موته لابن سيرين رأيت طائراً أخذ حصاة من المسجد فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن فمات بعد ذلك، ولما شيع جنازته لم تقم صلاة العصر في الجامع، ولم يكن ذلك منذ قام الإسلام رحمه الله تعالى ورضي عنه.

١٤ ـ مسموعات ومرويات الحسن:

قال علي:(١) سمع الحسن البصري من عثمان بن عفان ـ وهو غلام ـ يخطب، ومن عثمان بن أبي العاص ومن أبي بكرة.

ولم يسمع من عمران بن حصين شيئاً وليس بصحيح. لم يصح عن الحسن عن عمران سماع من وجه صحيح ثبت. قلت ـ أي على المديني ـ سمع الحسن من جابر؟ قال: لا، قلت: سمع الحسن من أبي سعيد الخدري؟ قال: لا، كان بالمدينة أيام كان ابن عباس على البصرة؛ استعمله

(١) المحدث الحافظ الأصولي علي بن عبد الله المديني. توفي سنة ٢٣٤ هـ.

عليّا وخرج إلى صفين وقال لي من حديث الحسن: خطبنا ابن عباس بالبصرة إنما هو لقول ثابت قدم علينا عمران بن حصين ومثل قول مجاهد: خرج علينا عليّ، وكقول الحسن بن سراقة بن مالك بن جعشم: حدثهم، وكقوله عن ابنا مجاشع بن مسعود: الحسن لم يسمع من ابن عباس، وما رآه قط. كان ابن عباس بالبصرة، ومن عبد الله بن مغفل، ومن معقل بن يسار، ومن أنس بن مالك، ومن سمرة بن جندب[1].

قال: وقال حبيب بن الشهيد: أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ممن سمع حديثه في العقيقة[2]؟. قال: فسألته فقال: سمعته من سمرة. قال سمرة: «كل مولود رَهْن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعة»[3].

---

(١) علل الحديث ومعرفة الرجال ـ لعلي بن عبد الله المديني: ص/٦٠.

(٢) العقيقة: الذّبيحة، وهي في الأصل الشعر الذي على رأس المولود، وقيل: المراد هو الذّبح نفسه. والعقيقة: كانت في الجاهلية وأول الإسلام ثم نَسَخَ الأضحى كلَّ ذبح، كما نسخ صوم رمضان كل صومٍ قبله.
والحديث المشار إليه أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٥/٧ ـ ٨ و ٥/٢٢أ عن بهز عن همام عن قتادة عن الحسن عن سَمْرة بن جُندب عن النبي ﷺ أنه قال: كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه. وقال بهز في حديثه: ويُدْمى ويُسَمّى ويُحْلق رأسه.

(٣) رواه أبو داود في: (١٦) كتاب الأضاحي ـ (٢٠) باب في العقيقة ـ حديث رقم (٢٨٣٨).
ورواه الترمذي في: (١٧) كتاب الأضاحي ـ (٢٣) باب من العقيقة ـ حديث رقم: (١٥٢٢).
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
ورواه النسائي في: (٤٠) كتاب العقيقة ـ (٤) باب متى يعق ـ حديث رقم: (١).
ورواه ابن ماجه في: (٢٧) كتاب الذبائح ـ (١) باب العقيقة ـ حديث رقم (٣١٦٥). =

وعن النبي ﷺ: «كلُّ مولود رهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعة ويحلق رأسه ويُسمّى».

وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ: «كل غلام رهن بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه، ويدعا». قال همام: «يُدما»!. وقال سعيد بن أبي عروبة: ويسمَّى. قال همام لقتادة: كيف يُدما؟ قال: تُذبح العقيقة ثم تستقبل أوداجها بصوفه أو بقطنةٍ ثم يوضع على يافوخ الصبي. قال: سُئِل يونس ابن عبيد[1] عن الصبي يلطخ رأسه بدم عقيقته فقال: كان الحسن يقول: هو رجس كان أهل الجاهلية يفعلونه.

وعن الحسن ومحمد بن سيرين أنّهما كرها أن يلطخ رأس الصبيّ بدم عقيقته، وعن هيّاج بن عمران البُرْجمي، قال: أبِقَ غلام لأبي فنذر إن قدر عليه ليقطعَنَّ يده أو يقطع منه طرفاً. قال: فأتي سَمُرَةَ بن جُندَب فذكر ذلك له فقال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا نهانا عن المُثلة، وأمرنا بالصَّدقة»[2]. وأتى عمران بن حصين فسأله فقال مثل ما قال سَمُرة عن

= ورواه أحمد في «المسند»: ٥/٧، ١٢، ١٧، ٢٢٠. وأن النبي ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين: ٥/٣٥٥، ٣٦١.

وفي: ٦/٣٩٠ من «المسند» للإمام أحمد عن أبي رافع قال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعق عن ابني بدم؟ قال: لا. ولكن احلقي رأسه. وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض (أهل الصفة)، ففعلت ذلك، قالت: فلما ولدت حسيناً فعلت مثل ذلك، وأخرج أحمد مثله في ٦/٣٩٢.

وفي علل الحديث للرازي: ٢/٤٩ أحاديث العقيقة معللة من ناحية السند لا المتن.

(١) يونس بن عُبيد (... - ١٤٠): أحد الأئمة، روى عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعنه شعبة، وهُشيم. قال ابن المديني: له نحو مائتي حديث. وثّقه أحمد وأبو حاتم.

(٢) رواه أحمد في «مسنده»: ٥/١٢، عن هشيم عن حميد عن الحسن قال: جاء رجل فقال =

هياج عن عمران وسَمُرة بنحوه ولم يرو عن الحسن شيئاً ـ يقول قرأت في كتاب سَمُرة ـ إلا حديثاً واحداً رواه عن الحسن عن سَمُرة. [ولو رواه أحد عن الحسن عن سمرة].

ورواه ابن عَوْن: قرأتُ في كتاب سَمُرة، ولكن أحاديثه التي رَواها عن سَمُرة غير هذا الحديث.

وقد روى سمرة أكثر من ثلاثين حديثاً مرفوعةوغيرها والحسن قد سمع من سمرة في عهد زياد.

وروى علي بن المديني عن يحيى بن أيّوب المقَابري قال: حدثنا علي ابن هاشم عن عبد الله بن محرر عن قتادة عن أنس: «أن النبيَّ ﷺ عقَّ عن نفسه بعدما بعثه الله نبياً»[1].

= إن عبداً له أبقَ، وأنه نذر إن قَدِرَ عليه أن يقطع يده. فقال الحسن: حدثنا سَمُرة قال: قلَّما خطب النبي ﷺ خطبة إلا أمر فيها بالصدقة. ونهى فيها عن المُثْلَة. وهذا يقتضي أيضاً سماع الحسن من سمرة لغير حديث العقيقة. وفي: ٥/ ٢٠ عن يزيد بن إبراهيم عن الحسن. وصحيفة سمرة أو كتابه، نقل عنها الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٧ ـ ٢٣.

(١) الخبر أخرجه البزار من رواية عبد الله بن محرر «بمهملات» عن قتادة عن أنس قال البزار: تفرد به عبد الله وهو ضعيف، قال البخاري في الكبير: منكر الحديث. وفي المجروحين لابن حبان عد هذا الحديث مما أخذ على عبد الله بن محرر وفي الميزان أنه اعتبر من بلاياه.

وأخرج أبو الشيخ الحديث من وجهين آخرين: أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتادة واسماعيل ضعيف أيضاً.

قال عبد الرزاق: إنهم تركوا حديث عبد الله بن محرر من أجل هذا الحديث فلعل إسماعيل سرقه منه.

ثانيهما: من رواية أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل وداود بن المحبر قالا: حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس وداود ضعيف لكن الهيثم ثقة وعبد الله من رجال البخاري فالحديث قوي الإسناد. =

قال: ورأيت ابن الزبير بايع عليًّا في حش[1] وخالفه موسى بن داود قال: رأيت طلحة بايع علياً في حش فسأله خالد بن القاسم عن هذا الحديث قال: ليس من صحيح حديث هُشَيْم، والحسن لم ير عليًّا إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام[2].

والحسن رأى أمَّ سلمة، ولم يسمع مِنها، وكان صغيراً وكانت أم الحسن تخدم أم سلمة وقد رَوَتْ عنها.

الحسن لم يسمع من أبي موسى الأشعري وكان بالبصرة زمنَ عمر.

حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ، قال: «لا تسأل الإمارة»[3].

= وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أيمن عن ابراهيم بن اسحق السراج عن عمر والناقد وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل. فلولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً لكن قال ابن معين «ليس بشيء». وقال النسائي: ليس بالقوي وقال أبو داود: لا أخرج حديثه، وقال الساجي: فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث روى مناكير وقال العقيلي: لا يتابع على أكثر حديثه وقال ابن حبان في الثقات: ربما أخطأ، ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما. فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجة، والخبر أخرجه أيضاً الضياء في المختارة مما ليس في الصحيحين.

ويحتمل أن يقال إن صح هذا الخبر كان من خصائصه ﷺ كما قالوا في تضحيته عمن لم يضح من أمته.

(١) الحش: البستان، والنخل المجتمع.

(٢) الحسن كما تقدم بصري، ولكنه نشأ بالمدينة.

(٣) نص الحديث: شيبان بن فروخ عن جرير بن حازم عن الحسن، حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال لي رسول الله ﷺ يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة، أعنت عليها.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦٢/٥، ٦٣ بإسناده عن: إسماعيل بن يونس عن =

وروى الأشعث عن الحسن، قال: كنا مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل.

وسئل عن حديث الأسود وهو ابن سريع: «بعث رسول الله ﷺ سرية فأكثروا القتل»[1] فقال: إسناده منقطع روايه الحسن عن الأسود بن سريع، والحسن عندنا لم يسمع من الأسود، لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي، وكان الحسن بالمدينة. فقلت له: فابن المبارك يقول في حديث الحسن عن الأسود: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: «إني حمدت ربي بمحامد»، أخبرني الأسود فلم يعتمد علي بن المبارك في ذلك، ولم يسمع من الضحاك بن سفيان شيئاً.

= الحسن عن عبد الرحمن، وبإسناد آخر في نفس الصفحة: عن هاشم بن القاسم، عن المبارك، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة، وبإسناد ثالث: عن ابن عون عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة، وبإسناد رابع عن هشام عن الحسن عن عبد الرحمن، وبإسناد خامس: ٦٣/٥ عن جرير بن حازم عن الحسن عن عبد الرحمن. وبإسناد سادس: عن حسين، عن المبارك، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة، وأضاف: ونحن بكابل.

أكلت اليها: والصواب وكلت إليها أي لم يكن معك إعانة. أخرجه مسلم في باب (٣) كتاب الإمارة النبي عن طلب الإمارة والحرص عليها، وأخرج البخاري مثله، وفي الباب أحاديث أخرى.

(١) الخبر أخرجه أحمد في «مسنده»: ٤٣٥/٣ من عدة طرق كلها من حديث الحسن عن الأسود بن سريع كما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديثه ٧٧/٩. والانقطاع يتضح من قول ابن مندة: إن الحسن لا يصح سماعه من الأسود بن سريع. والخبر أخرجه أيضاً البخاري في الصغير ١ / ٨٩ والكبير ١ / ٤٤٥ من رواية الحسن وأشار في الكبير إلى الاختلاف في تاريخ وفاة الأسود هل هو سنة ثنتين وأربعين أو ما رواه عن علي أنه قتل يوم الجمل ولكنه اقتصر في الصغير على الرواية الأخيرة.

وفي بعض طرق أحمد للخبر أن السرية أرسلت يوم حنين ولفظه: =

وسئل عن حديث الضحاك: قال رسول الله ﷺ: ما طعامك[1]؟ قال: حديث بصري إسناده منقطع لأنّ الحسن لم يسمع من الضحاك، فكان الضحاك يكون بالوادي ولم يسمع منه.

وروي الحسن عن أسامة عن النبي ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»[2]. ورواه يونس عن الحسن عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ. وقال ابن المديني: سماع الحسن من الأحنف بن قيس صحيح، والأحنف ليس له صحبة، ومن قيس بن عُباد مطرِّف، سعد بن هشام، حطان بن عبد الله الرقاشي. ولم يدخل بين الحسن وسلمة أحد، ولكنه روى عنه مباشرة.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم عن صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه سمع الحسن من ابن عمر وأنس وعبد الله بن مغفل وعمرو بن تغلب. قال عبد الرحمن فذكرته لأبي فقال: قد سمع من هؤلاء الأربعة، ويصح له السماع من أبي برزة ومن غيرهم، ولا يصح له السماع من جندب، ولا من

= «أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين فأفضى بهم القتل إلى الذرية فلما جاءوا قال رسول الله ﷺ: ما حملكم على قتل الذرية؟ فقالوا يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين قال: أو هل خياركم إلا أولاد المشركين. والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها».

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/٥٤٢، أن النبي ﷺ قال له: يا ضحاك ما طعامك؟ قال: يا رسول الله! اللحم واللبن. قال: ثم يصير إلى ماذا؟ قال: إلى ما قد علمت. قال فإن الله تبارك وتعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا».

(٢) ورواه الترمذي في: (٦) كتاب الصوم ـ (٦٠) باب كراهية الحجامة للصائم ـ حديث رقم: (٧٧٤).
قال «محققه» الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله: لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة غير الترمذي.

معقل بن يسار، ولا من عمران بن حصين، ولا من أبي هريرة. وقال همام ابن يحيى عن قتادة: والله ما حدثنا الحسن عن بدري مشافهة. وقال ابن المديني: مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات صحاح ما أقل ما يسقط منها[1].

وقال أبو زرعة كل شيء يقول الحسن قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ثابتاً ما خلا أربعة أحاديث، وقال محمد بن سعد كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، وكان ما أسند من حديثه وروي عمن سمع منه فهو حجة وما أرسل فليس بحجة.

وقال حماد بن زيد عن هشام بن حسان كنا عند محمد ـ يعني ابن سيرين ـ عشية يوم الخميس فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن. قال: فترحم عليه وتغيّر لونه وأمسك عن الكلام.

قال ابن حجر شيخ الإسلام: سئل أبو زرعة هل سمع الحسن أحداً من البدريين. قال: رآهم رؤية رأى عثمان وعلياً. قيل: هل سمع منهما حديثاً قال لا رأى علياً بالمدينة، وخرج علي إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك. وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع علياً. وقال علي بن المديني: لم ير علياً إلا إن كان بالمدينة وهو غلام، ولم يسمع من جابر بن

---

(١) في هامش الخلاصة زاد ها هنا من تهذيب الكمال ـ وقال يونس بن عبيد سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه قال يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك مني ما أخبرتك أني في زمان كما ترى (وكان في عمل الحجاج) كل شيء سمعته أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً ا هـ.

عبد الله، ولا من أبي سعيد، ولم يسمع من ابن عباس وما رآه قط كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة، وقال أيضاً في قول الحسن خطبنا ابن عباس بالبصرة. قال: إنما أراد خطب أهل البصرة كقول ثابت قدم علينا عمران بن حصين وكذا قال أبو حاتم.

وقال بهز بن أسد لم يسمع الحسن من ابن عباس ولا من أبي هريرة ولم يره ولا من جابر ولا من أبي سعيد الخدري واعتماده على كتب سمرة. قال السائل فهذا الذي يقوله أهل البصرة سبعون بدرياً قال هذا كلام السوقة حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال ما حدثنا الحسن عن أحد من أهل بدر مشافهة.

وقال أحمد: لم يسمع ابن عباس إنما كان ابن عباس بالبصرة والياً عليها أيام علي. وقال شعبة قلت ليونس بن عبيد سمع الحسن من أبي هريرة قال ما رآه قط، وكذا قال ابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة زاد ولم يره قيل له فمن قال حدثنا أبو هريرة قال يخطىء.

قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول وذكر حديثاً حدثه مسلم بن إبراهيم قال حدثنا ربيعة بن كلثوم قال سمعت الحسن يقول حدثنا أبو هريرة قال أبي لم يعمل ربيعة شيئاً لم يسمع الحسن من أبي هريرة شيئاً قلت لأبي أن سالماً الخياط روى عن الحسن قال سمعت أبا هريرة قال هذا مما يبين ضعف سالم.

وقال أبو زرعة لم يلق جابراً، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي سمع الحسن من جابر قال ما أرى، ولكن هشام بن حسان يقول عن الحسن حدثنا جابر وأنا أنكر هذا إنما الحسن عن جابر كتاب مع أنه أدرك جابراً،

وقال ابن المديني لم يسمع من أبي موسى وقال أبو حاتم وأبو زرعة لم يره.

وقال ابن المديني سمعت يحيى يعني القطان، وقيل له كان الحسن يقول سمعت عمران بن حصين قال أما عن ثقة فلا، وقال ابن المديني وأبو حاتم لم يسمع منه وليس يصح ذلك من وجه يثبت، وقال أحمد قال بعضهم عن الحسن حدثنا أبو هريرة، وقال بعضهم عن الحسن حدثني عمران بن حصين إنكاراً على من قال ذلك، وقال ابن معين: لم يسمع من عمران بن حصين. وقال ابن المديني لم يسمع من الأسود بن سريع لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي، وكذا قاله ابن مندة. وقال ابن المديني روي عن علي ابن زيد بن جدعان عن الحسن أن سراقة حدثهم وهذا إسناد ينبو عنه القلب أن يكون الحسن سمع من سراقة إلا أن يكون معنى حدثهم حدّث الناس فهذا أشبه.

وقال عبد الله بن أحمد سئل أبي سمع الحسن من سراقة قال لا، وقال ابن المديني لم يسمع عبد الله بن عمرو ولا من أسامة بن زيد، ولا النعمان ابن بشير، ولا من الضحاك بن سفيان، ولا من أبي برزة الأسلمي، ولا من عقبة بن عامر، ولا من أبي ثعلبة الخشني، ولا من قيس بن عاصم، ولا من عائذ بن عمرو ولا من عمرو بن تغلب، وقال أحمد: سمع الحسن من عمرو بن تغلب. وقال أبو حاتم سمع منه، وقال أبو حاتم: لم يسمع من أسامة بن زيد ولا يصح له سماع من معقل بن يسار. وقال أبو زرعة: الحسن عن أبي الدرداء مرسل. وقال أبو حاتم: لم يسمع من سهل بن الحنظلية، وقال الترمذي: لا يعرف له سماع من علي.

وقال أحمد: لا نعرف له سماعاً من عتبة بن غزوان. وقال البخاري: لا يعرف له سماع من دغفل، وأما رواية الحسن عن سمرة بن جندب غالبها في السنن الأربعة، وعند علي بن المديني أن كلها سماع، وكذا حكي

الترمذي عن البخاري. وقال يحيى القطان وآخرون هي كتاب، وذلك لا يقتضي الانقطاع.

وفي مسند أحمد حدثنا هشيم عن حميد الطويل، وقال جاء رجل إلى الحسن فقال إن عبداً له ابق وإنه نذر أن يقدر عليه أن يقطع يده فقال الحسن إن عبداً له أبق وإنه نذر أن يقدر عليه أن يقطع يده فقال الحسن حدثنا سمرة قال: قل ما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا أمر فيها بالصدقة ونهى[1] عن المثلة.

وهذا يقتضي سماعه منه لغير حديث العقيقة. وقال أبو داود عقب حديث سليمان بن سمرة عن أبيه في الصلاة دلت هذه الصحيفة على أن الحسن سمع من سمرة. قال ابن حجر: ولم يظهر لي وجه الدلالة بعد. وقال العباس الدوري: لم يسمع الحسن من الأسود بن سريع، وكذا قال الآجري عن أبي داود قال عنه في حديث شريك عن اشعث عن الحسن سألت جابراً عن الحائض فقال لا يصح.

وقال البزار في مسنده في آخر ترجمة سعيد بن المسيب عن أبي هريرة سمع الحسن البصري من جماعة، وروى عن آخرين ولم يدركهم، وكان يتأول فيقول حدثنا وخطبنا يعني الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة. قال: ولم يسمع من ابن عباس ولا الأسود بن سريع ولا عبادة ولا سلمة بن المحبق، ولا عثمان، ولا أحسبه سمع من أبي موسى، ولا من النعمان بن بشير، ولا من عقبة بن عامر، ولا سمع من أسامة، ولا من أبي هريرة، ولا من ثوبان، ولا من العباس.

---

(١) «نهى عن المُثْلة»: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوَّهْت به، ومثلت بالقتيل، إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه.

ووقع في سنن النسائي من طريق أيوب عن الحسن عن أبي هريرة في المختلفات، قال الحسن: لم أسمع من أبي هريرة غير هذا الحديث أخرجه عن إسحاق ابن راهويه عن المغيرة بن سلمة عن وهيب عن أيوب، وهذا إسناد لا مطعن من أحد في رواته، وهو يؤيدانه سمع من أبي هـريرة في الجملة وقصته في هذا شبيهة بقصته في سمرة سواء، وقال سليمان بن كثير عن يونس بن عبيد قال وولاه علي بن أرطأة قضاء البصرة يعني الحسن في أيام عمر بن عبد العزيز ثم استعفى. قال يونس بن عبيد: ما رأيت رجلا أصدق بما يقول منه ولا أطول حزناً، وقال ابن عون: كنت أشَبِّه لهجـة الحسن بلهجة رؤبة - يعني في الفصاحة.

١٥ - نبذة عن التدليس:

المدَلَّس: ما رواه الرجل عن آخَر ولم يَسمعه منه، أو لم يُدركه.

فإن صَرَّح بالاتصال وقال: حدَّثنا، فهذا كذَّاب، وإن قـال: عن، احتُملَ ذلك، ونظر في طبقته هل يُدرِكُ من هو فوقهُ؟ فإن كان لقِيه فقد قرَّرناه، وإن لم يكن لقيه فأمكن أن يكون مُعاصره، فهو محلُّ تردُّد، وإن لم يُمكن فمنقطع، كقتادة عن أبي هريرة.

وحُكم (قال): حُكمُ (عن). ولهم في ذلك أغـراضٍ: فإن كـان لو صَرَّحَ بمن حدَّثه عن المسمَّى، لعُرِف ضعفه، فهذا غرض مذموم وجناية على السُّنَّة، ومن يعاني[1] ذلك جُرِحَ به، فإنَّ الدين النصيحة.

وإن فَعَلَهُ طلباً للعلو فقط، أو إيهامـاً بتكثير الشيـوخ، بأن يُسمَّى الشيخ مرَّة ويُكنِّيه أخرى، وينسُبَه إلى صنعة أو بلدٍ لا يكاد يُعرف بـه، وأمثال ذلك، كما تقولُ: حدَّثنا البُخاريُّ، وتقصد به من يُبخِّر الناس، أو:

---

(١) يعاني ذلك: يقصد به: يفعله ويتعاطاه.

حدَّثنا عليٌّ بما وراء النهر، وتعني به نهراً[1]، أو حدثنا بـزبيد[2]، وتـريد موضعاً بقوص[3]، أو: حدَّثنا بَحرَّان[4]، وتـريد قـرية المـرج[5]، فهذا مُحْتمل، والورع تركُه.

ومن أمثلة التـدليس: الحسن عن أبي هريـرة. وجمهورهم عـلى أنه منقطع، لم يلقه[6]. وقد رُوي عن الحسن قال: حدَّثنا أبو هريرة. فقيل: عني يحدَّثنا: أهل بلده.

وقـد يؤدي تدليس الأسـماء إلى جهالـة الراوي الثقـة، فيُـرَدُّ خـبره الصحيح. فهذا مفسدة، ولكنها في غير «جامع البخاري» ونحوه، الذي تقرّر أنّ موضوعه للصحاح، فإنَّ الرجل[7] قد قال في «جامعه»: حدّثنا عبد

---

(١) ما وراء النهر: المعنيُّ بالنهر هنا نهر جيحون، قال ياقوت الحموي: يُراد بما وراء النهر: نهر جيحون بخُراسان، فما كان في شرقيِّة سمَّوْه ما وراء النهر، وما كان في غربية فهو خُراسان وولاية خوارزم. وخُوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه. (معجم البلدان: ٢/٤٥).

(٢) زبيد: اسم مدينة مشهورة باليمن، بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً، وليس بعد صنعاء أكبر منها، ولا أغنى من أهلها، ولا أكثر خيراً، وهي بلدة جميلة الهندسة والبناء، واسعة البساتين، كثيرة المياه والفواكه، أُحدِثَتْ في أيام المأمون سنة أربع ومائتين، وينسب إليها جمع كثير من العلماء.

(٣) قُوص: مدينة كبيرة، وهي أعظم مُدُن الصعيد في مصر.

(٤) حرَّان: مدينة قديمة على طريق الموصل والشام والروم، بينها وبين الرُّها يوم، وبينها وبين الرَّقة يومان. وحَرَّان أيضاً قرية في غُوطة دمشق.

(٥) المَرْجُ هنا، يعني بها قرية من غوطة دمشق.

(٦) جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد، أكثر من خبرٍ صريح بسماع الحسن من أبي هريرة. (٧/١٥٨).
وقارن بتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢/٢٦٩.

(٧) أي الإمام البخاري.

الله. وأراد به: ابنَ صالح المصري[1]. وقال: حدَّثنا يعقوب. وأراد به: ابن كاسب[2]. وفيهما لين. وبكل حال: التدليس منافٍ للإخلاص، لما فيه من التزيُّن.

١٦ ـ وفاته:

كان موت الحسن البصري رحمه سنة عشرة ومائة في شهر رجب وكانت جنازته عظيمة، وقال رجل قبل موته لابن سيرين رأيت طائراً أخذ حصاة من المسجد فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن، فمات بعيد ذلك ولما شيع الناس جنازته لم تقم صلاة العصر في الجامع ولم يكن ذلك منذ قام الإسلام رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قال المسعودي[3]: مات الحسن وله تسع وثمانون سنة، وقيل: تسعون سنة، وكان أكبر من محمد بن سيرين، ومات محمد بعده بمائة ليلة في هذه السنة وهو ابن إحدى وثمانون سنة. رحم الله شيخ البصرة الحسن البصرة رحمة واسعة من فضله وأدخله فسيح جناته وألحقنا به يوم موعدنا مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ونختم هذا الكتاب الذي يملأ صاحب ترجمته عنبراً بهذه الأبيات التي وجدت على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد مكتوباً، وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبي مروان الزجاجي، وكأنه يخاطبه ودفنا في بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه:

---

(١) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد الجُهني المصري، كاتب الليث. مات سنة ٢٢٠. روي له البخاري متصلاً وتعليقاً وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) هو يعقوب بن حُميد بن كاسب المدني ثم المكي، وقد يُنسب إلى جده فيقال: «حميد بن كاسب» كما ذكرنا هنا. مات سنة واحد وأربعين بعد المائتين.
روى له البخاري في كتاب «أفعال العباد» وابن ماجه.

(٣) مروج الذهب: ٣/٢١٤ ـ ٢١٥.

يا صاحبي قُمْ فقد أطَلْنا
أنحن طول المدى مجودُ؟
فقال لي: لن تقوم منها
ما دام من فوقنا الصعيدُ
نذكر كم ليلة نعمنا
في ظلها والزمان عيدُ؟
وكم ينير همي علينا
سحابة ثرّة بجودُ؟
كل كأن لم يكن تقضّ
وشؤمه حاضر عتيدُ
حصله كاتب حفيظ
وضمّه صادق شهيدُ
يا حسرتا إن تنكبتنا
رحمة من بطشه شديدُ
يا ربّ عفواً فأنت مولى
قصر في حقه العبيدُ

أما النوع الثاني فهو: مجهول الحال أو المستور: وهو مَنْ روى عنه اثنان فأكثر. ولكنه لم يعدل أو يجرح. وهذا أيضاً يتوقف في حديثه فلا يقبل ولا يردّ حتى يتضح حاله.

وكما يرى القارىء فإن الجهالة لا تعدّ تعديلاً ولا تجريحاً، حيث يحتمل في المجهول أن يكون عدْلاً أو غير عدْل.

١٧ ـ منهج الصحابة والتابعين في المحافظة على السنة:

من تتبع سيرة الصحابة والتابعين يجد حرصهم الشديد على التمسك

بالسنة الطاهرة، وحسن اقتدائهم بالرسول ﷺ، وتتبع آثاره، ووقوفهم عند أحكامه عليه الصلاة والسلام متى ثبتت عندهم، وقد نهج الصحابة والتابعون سبيلاً قويماً للمحافظة على الحديث النبوي، ويتضح هذا المنهج في احتياطهم في رواية الحديث، وفي تثبتهم في قبول الأخبار، هذا إلى جانب تمسكهم بالسنة وحرصهم على التأسي والاقتداء بالرسول ﷺ.

١ ـ احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث:

احتاط الصحابة في رواية الحديث عن الرسول ﷺ خشية الوقوع في الخطأ، وخوفاً من أن يتسرب إلى السنة بعض التحريف، وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره، فحملهم ورعهم وتقواهم على الاعتدال، في الرواية عن الرسول ﷺ، وحتى إن بعضهم آثر الإقلال منها احتراماً للحديث لا زهداً فيه، واشتهر من بين الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بشدة إنكاره على من يكثر رواية الحديث، والتزم الصحابة هذا المنهج، فلم يرووا الأحاديث إلا حين الحاجة، وكانوا حين يروونها يتحرون الدقة في أدائها، وكثيراً ما كان يقول بعضهم بعد رواية الحديث (نحو هذا أو كما قال، أو شبيهاً بذلك).

ونرى من الصحابة من تأخذه الرعدة، ويقشعر جلده، ويتغير لونه حين يروي شيئاً عن الرسول ﷺ، ورعاً واحتراماً لحديثه عليه الصلاة والسلام. من هذا ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه قال: فما سمعته يقول بشيء قط: (قال رسول الله ﷺ) فلما كان ذات عشية قال: (قال رسول الله ﷺ، قال: فنكس[١]، قال فنظرت إليه، فهو قائم محللة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت

(١) نكس أي طأطأ رأسه وخفضه.

أوداجه. قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: (أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إيـاه) وفي رواية: (يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول).

ولم ينهج الصحابة هذا السبيل لقلة ما لديهم من الحديث، بل فعلوا ذلك كله حرصاً على السنة وصيانة لها، واحتياطاً للدين ورعاية لمصلحة المسلمـين، لا زهداً في الحـديث النبوي ولا تعـطيلاً لـه. وقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث الشريف وإجلالهم إياه، وأخذهم بـه، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى فإن وجدوا فيه ما يريدون تمسكوا به، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه، وان لم يجدوا ما يطلبون فزعـوا إلى (السنة)، فإن روى لهم خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بـالرأي[1]. وطـريقة أبي بكـر وعمر في الحكم مشهورة: كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فان وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء، فربما قام إليه القوم فيقولون. . . قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم. . . وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

ورأى الصحابة في منهج عمر رضي الله عنه حفظ السنة، وحمل الناس على التثبت مما بسمعون، والتروي فيما يؤدون، فالتزموه من غير إفراط ولا تفريط، ولم يكثروا من الرواية مخافة رفع التدبر والتفقه، فالتزموا الاعتدال فيها، يقول عبد الله بن مسعود رضي عنه: «ليس العلم كثرة الحديث، ولكن العلم الخشية»[1].

ثم إن كثرة الرواية مظنة الوقوع في الخطأ، وبخاصة أنه ورد النهي عن التحديث بكل ما يسمعه المرء، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع».

فإذا طلب الصحابة الإقلال من الرواية فإنما طلبوه من باب الاحتياط لحفظ السنن والترهيب في الرواية، وتدبر المروي، وحفظه وضبطه، وكل ما روي عن الصحابة في هذا الباب يدل على محافظتهم على السنة ونشرها وتبليغها صحيحة ولا يتيسر نشرها صحيحة ما لم يتثبت حاملوها من مروياتهم، ولا أدل على ذلك من أن عمر وبعض الصحابة رضي الله عنهم عرفوا إتقان بعض الصحابة وحفظهم الجيد فلم ينكروا عليهم كثرة رواياتهم.

وسار التابعون واتباعهم على منهج الصحابة، فاحتاطوا في رواية الحديث، وعابوا الإكثار منها مخافة أن يرتفع تدبر الحديث وفهمه، قال محمد ابن المنكدر: الذي يحدث الناس إنما يدخل بين الله وبين عباده فلينظر بما يدخل».

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ـ لابن عبد البر.

وحرص بعضهم على ألا يحدث في المجلس بأكثر من ثلاثة أو أربعة أحاديث كي يفهمها الطلاب ويحفظوها، والأخبار في هذا كثيرة.

٢ ـ تثبت الصحابةوالتابعين في قبول الحديث: أمر الإسلام بالتثبت في قبول الأخبار، ونهى عن الكذب، وأمر بقول الحق، نزل بهذا الوحي الأمين، ونطق به الرسول الكريم، وعمل بذلك الصحابة أجمعون، وسار على ذلك المتقدمون والمتأخرون، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[١] وقال عز من قائل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾**[٢]. وقال: **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾**[٣]، و **﴿. . . . واجتنبوا قول الزور﴾**[٤].

وقال ﷺ: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»[٥]. وقال: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٦]. هكذا أمر المسلمون بالصدق في كل شيء، وبالأمانة والعدل وبتحري الحق واجتناب الباطل، ولهذا فقد احتاط رجال الحديث ونقاده في قبول الحديث، وتثبتوا وتأكدوا من الأخبار التي يرويها المسلمون، وقد نهج هذا السبيل الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم، وحاولوا التثبت بكل وسيلة تضمن لهم صحة المروي وضبط ناقله، بطلب الحديث من راوٍ آخر، وجمع طرقه تارة، وبالرجوع إلى أئمة هذا الشأن تارة أخرى.

---

(١) سورة الحجرات آية: ٦.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٧٠، ٧١.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٠٠.

(٤) سورة الحج آية: ٣٠.

(٥ و٦) رواه البخاري بنحوه: (٣) كتاب العلم ـ (٣٨) باب إثم من كذب على النبي ﷺ ـ حديث رقم: (١٠٦). =

وحق للأمة الإسلامية أن تتثبت في حديث رسول الله ﷺ وتستوثق له - وهو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، فكما احتاط الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم في رواية الحديث، احتاطوا وتثبتوا في قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ، وأمثلة تثبت الصحابة والتابعين ومن خلفهم أكثر من أن تحصى، وسنكتفي بذكر بعضها فيما يلي:

١ ـ قال الحافظ الذهبي: كان أبو بكر رضي الله عنه،أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنقذه لها أبو بكر رضي الله عنه[1].

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي، فرجعت فقال: مامنعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له

= ورواه في: (٢٣) كتاب الجنائز ـ (٣٣) باب ما يُكره من النِّياحة على الميت ـ حديث رقم: (١٢٩١).
ورواه مسلم في: (٥٣) كتاب الزهد ـ (١٦) باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم ـ حديث رقم: (٧٢).
ورواه الترمذي في: (٣١) كتاب الفتن ـ باب (٧٠) ـ حديث رقم: (٢٢٥٧).
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
ورواه ابن ماجه في «المقدمة» ـ الباب (٤) ـ حديث رقم: (٣٢، ٣٣).

(١) رواه ابن ماجه في: (٢٣) كتاب الفرائض ـ (٤) باب ميراث الجدة ـ حديث رقم: (٢٧٤٤).

فليرجع»[1]. فقال: والله لتقيمن عليه ببينة أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك. فقال عمر لأبي موسى: أمّا إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ».

٣ - عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً ثلاثاً، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ، يا هؤلاء أكذاك؟ قالوا نعم، لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ عنده»[2].

---

(١) رواه البخاري في: (٧٩) كتاب الاستئذان - (١٣) باب التسليم والاستئذان ثلاثاً - حديث رقم: (٦٢٤٥).
ورواه مسلم في: (٣٨) كتاب الآداب - (٧) باب الاستئذان - حديث رقم: (٣٤، ٣٥، ٣٧).
ورواه أبو داود في: (٤٠) كتاب الأدب - (١٣٨) باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان - حديث رقم: (٥١٨٠، ٥١٨١).
ورواه الترمذي في: (٤٠) كتاب الاستئذان - (٣) باب ما جاء في الاستئذان ثلاثة - حديث رقم: (٢٦٩٠).
قال الترمذي: حديث حسن.
ورواه ابن ماجه في: (٣٣) كتاب الأدب - (١٧) باب الاستئذان - حديث رقم: (٣٧٠٦).
ورواه الدارمي في: (١٩) كتاب الاستئذان - (١) باب الاستئذان ثلاث - حديث رقم: (١).
ورواه أحمد في «مسنده»: ٣/٦، ١٩، ٢٢١، ٤/٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١٨.

(٢) رواه البخاري في: (٨١) كتاب الرقاق - (٨) باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ - حديث رقم: (٦٤٣٣).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنـه، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني بما شاء منه، وإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر حدثني ـ وصدق أبو بكر ـ أنه سمع النبي ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل الا غفر له»[1].

٤ ـ عن قتادة عن الحسن البصري أن سمرة بن جندب وعمران ابن حصين تذاكرا، فحدث سمرة بن جندب أنـه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين فكتبا في ذلك إلى أبي[2] بن كعب (بالمدينة)، فكان في كتابه إليهما أو في رده عليهما وأن سمرة قد حفظ».

تلك آثار تبين منهج الصحابة في التثبت والتأكد من الأخبار، وهذا لا يعني أبداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث، أن يرويه راويان فأكثر، أو أن يشهد الناس على الراوي أو أن يستخلف، فإذا لم يحصل شيء من هذا رد خبره.. بل كان الصحابة يتثبتون في قبول الأخبار. ويتبعون الطريقة التي ترتاح إليها ضمائرهم، وما ذكرناه مظهر من مظاهر التثبت والاستيثاق، مخافة الخطأ في الرواية، وحرصـاً على الضبط والإتقـان حين التحـديث. فأحياناً يطلب عمر رضي الله عنه سماع آخر، وأحياناً يقبل الخبر من غير

---

(١) رواه البخاري بنحوه في: (٣٠) كتاب الصوم ـ (٢٧) باب سواك الرَّطب واليابس للصائم ـ حديث رقم: (١٩٣٤).

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، الخزرجي، أبو المنذر، سيّد القراء، من فضلاء الصحابة، مات سنة تسع عشرة، وقيل غير ذلك.

ذلك، ولا يقصد من وراء عمله إلا حمل المسلمين على جادة التثبت العلمي، والتحفظ في دين الله حتى لا يتقول أحد على الرسول ﷺ ما لم يقل، ويتضح هذا في قول عمر رضي الله عنه عندما رجع أبو موسى الأشعري مع أبي سعيد الخدري وشهد له - «أما إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ»(١).

ويتضح هذا أيضاً في قول الإمام الذهبي بعد إيراد طريقة الصديق رضي الله عنه في التثبت: «إن مراد الصديق التثبت في الإخبار والتحري لا سد باب الرواية»(٢).

وكما طلب الصحابة من الراوي شهادة غيره أحياناً، قبلوا أحاديث أحاديث كثيرة برواية الآحاد أحياناً أخرى - لاطمئنانهم وثقتهم بضبط الناقلين - وبنوا عليها أحكامهم.

وهكذ يتبين لنا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حرصوا حرصاً شديداً على الحديث النبوي وصانوه من كل تحريف وتغيير - باحتياطهم في روايته، وتثبتهم واستيثاقهم في قبوله. وأن تثبتهم في بعض الأحاديث بطلب راويين للخبر لم يكن شرطاً لقبول جميع المرويات، بل إن قبولهم أخباراً كثيرة عن مخبر واحد - توفرت فيه جميع شروط العدالة والحفظ والضبط - يدل على أنهم رضي الله عنهم كانوا يطلبون الراوي الثاني لمجرد التثبت والتأكد، لا لأن الخبر لا يثبت عندهم إلا براويين، والأخبار التي قبلها الخلفاء الأربعة

---

(١) وصله الشيخان من طريق عطاء بن أبي رباح، عن عبيد بن عمر.
فأخرجه البخاري في: (٣٤) كتاب البيوع - (٩) باب الخروج في التجارة.
ورواه مسلم في: (٣٨) كتاب الآداب - (٧) باب الاستئذان - حديث رقم: (٣٦).
ورواه مالك في: (٥٤) كتاب الاستئذان - (١) باب الاستئذان - حديث رقم: (٣).

(٢) تذكرة الحفاظ: ١/٦ - ٧.

وغيرهم برواية آحاد أكثر بكثير من الأخبار التي طلبوا فيها راويين[(١)].

ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماماً من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث فكانوا يتثبتون من الراوي بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم، وإن من يتتبع تاريخ الرواة، وكيفية تحملهم الحديث الشريف، ليدرك تماماً جهود التابعين وأتباعهم، تلك الجهود التي بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم، وسوف نتحدث عن بعض أخبارهم في هذا الموضوع.

١ ـ عن عبادة بن سعيد التجيبي أن عقبة بن نافع الفهري أوصى بنيه فقال: «يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة»[(٢)].

٢ ـ وكانوا يرون الأمانة في الذهب والفضة أيسر من الأمانة في الحديث[(٣)]، فنسمع عن سليمان بن موسى أنه لقي طوساً فقال له: «حدثني فلان كَيْت وكَيْت. قال: إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه»[(٤)].

٣ ـ وقال سعيد بن إبراهيم: لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات»[(٥)].

٤ ـ وكان يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية يقول: «إذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة، فإن عرف فخذه وإلا فدعه»[(٦)].

٥ ـ قال أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي: «أدركت بالمدينة مائة

---

(١) السنة قبل التدوين: ص/١١٩ ـ ١٢٣.
(٢) الجرح والتعديل: ص ٢٩ قسم ١ ج ١.
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ص ١٦٠: آ.
(٤) صحيح مسلم: ١/ ١٥، والجرح والتعديل ص ٢٧ قسم ١ ج ١.
(٥) صحيح مسلم: ١/ ١٥، وسنن الدارمي: ١/ ١١٢.
(٦) الجرح والتعديل: ١/ ١٩.

كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال ليس من أهله»[1]. فهو يؤكد بقوله هذا أن الصلاح والأمانة لا يكفيان في راوي الحديث إذا لم ينضم إليهما الحفظ والضبط والإتقان، وهذا معنى قوله ليس من أهله.

٦ ـ ويؤكد ما أسلفنا في الفقرة السابقة قول كثير من العلماء كعبد الله ابن عون، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري وغيرهم ـ: «خذوا العلم من المشهورين»[2]، و «لا يؤخذ هذا العلم إلا عمن شهد له بالطلب»[3].

٧ ـ قيل لمسعر بن كدام: ما أكثر تشككك؟ قال: «تلك محاماة عن اليقين»[4].

٨ ـ واهتم التابعون واتباعهم وأهل العلم من بعدهم اهتماماً عظيماً بالسنة وحرصوا عليها، واستوثقوا لها، وحفظوها، وتثبتوا في قبول الأخبار بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم، لما يترتب على ثبوت الحديث من أحكام ترتبط بها أمور الدين والدنيا، لهذا كثيراً ما كانت تتردد على ألسنة الصحابة والتابعين ومن بعدهم عبارة: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[5].

وهكذا اجتهد التابعون ومن بعدهم في التثبت للحديث النبوي، وسلكوا سبيل الصحابة في ذلك، فتارة كانوا يحلفون الراوي على سماعه، وتارة يطلبون الخبر من طريق آخر، وأخرى يرحلون في طلب الحديث

---

(١) صحيح مسلم: ١/١٥.
(٢) المحدث الفاصل فقرة (٤٢٠)، والجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي فقرة (٧٤٢).
(٥) الكامل ص ٥٨: أ ـ ب، وانظر مقدمة التمهيد ص ١٢: ب.

ليسمعوه من معينه وأصله، كما كان يفعل أبو العالية وغيره، قال أبو العالية: «كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم».

١٨ ـ النشاط العلمي في عصر الصحابة والتّابعين:

شعر الصحابة بالتبعة الملقاة على عاتقهم لحفظ الشريعة وتطبيقها، فسارعوا إلى صيانة مصادرها الأولى خشية ضياع القرآن الكريم من صدور القراء (الحفاظ)، إثر حروب الردة، ومن ثم جمعوه في مصحف على عهد الصديق رضي الله عنه، وخافوا عاقبة الاختلاف في القراءات في الأمصار المختلفة، فنسخوه في مصاحف وزعت على الأقاليم الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه، وكانوا في أحكامهم يرجعون إلى الكتاب الكريم ثم إلى السنة، يسألون عن حكم مأثور عن الرسول ﷺ فيما يجد لهم من قضايا، فإذا ما ثبت عندهم شيء عن رسول الله ﷺ تمسكوا به وطبقوه.

وقد وجد الصحابة الضرورة تلح لحفظ السنة، فحاول الصديق ثم الفاروق حفظهما كتابة ـ وما منعهم من ذلك إلا حرصهم على القرآن والسنة ـ فما كان منهم إلا أن أكبوا على دراستها والسؤال عنها والبحث عن الحديث عند حفاظه، ويكفينا مثالاً لهذا ما كان يفعله ابن عباس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، قال: واعجبا لك يا ابن عباس. . . أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذاك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإنه كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل[1]. فأتوسد ردائي على بابه، تسفي

(١) أي وهو في نوم الظهيرة من القيلولة والقائلة.

الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيقول: يابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث»[1].

وكانت رغبة الصحابة في سماع حديث رسول الله ﷺ عظيمة، وهل أحب إلى المرء من أن يسمع حكم مربيه وأحكامه وتشريعاته؟ وهل من شيء أعز على المسلم من أن يحمي آثار منقذه من الضلال ورائده إلى الخير؟ لقد كان الصحابة مندفعين بإخلاص إلى سماع حوادث رسول الله ﷺ وسيرته وحديثه، فهذا أبو بكر الصديق يقف عند عازب والد البراء فيشتري منه رحلا وهو للناقة كالسرج للفرس، ثم يقول له: «مر البراء فليحمله إلى منزلي، فيقول: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه. فقص عليه خبر الهجرة»[2].

وهذا علي أمير المؤمنين يلتقي بكعب الأحبار فيقول له كعب: يا علي أسمعت رسول الله ﷺ يقول في المنجيات؟ قال: لا. ولكن سمعته يقول في الموبقات، فقال كعب لعلي: حدثني بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الموبقات ترك السنة ونكث البيعة، وفراق الجماعة». فقال كعب لعلي: المنجيات: كف لسانك وجلوس في بيتك، وبكاؤك على خطيئتك.

وقد روى بعض الصحابة عن بعض كثيراً سواء في حياته عليه الصلاة والسلام أو بعد وفاته، من ذلك رواية الفاروق عمر عن الصديق رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ حديث: «لا نورث ما تركناه صدقة»[3].

ومنها رواية عثمان رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) تذكرة الحفاظ: ١/٣٨ وزيادة.

(٢) بحث دراسي «مخطوط» من عمل المؤلف.

(٣) رواه أحمد في «مسنده»: ١/١٠، ١٣.

رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً إلا حرم على النار: لا إله إلا الله»، ورواية أبي بكر بن بلال رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «يا بلال أصبحوا بالصبح فانه خير لكم». ورواية عبد الرحمن(١) بن عوف عن الفاروق رضي الله عنهما قال: «رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده». وما رواه بجالة بن عبدة. قال: كنت كاتباً لجرير بن معاوية على مناذر(٢)، فجاءنا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انظر مجوس هجر من قبلك، فخذ منهم الجزية، فان عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس أهل هجر، وروت عائشة عن الصديق كما روي عنها، وروى ابن عمر عن ابن عباس، وابن عباس عن ابن عمر، كما روت عائشة عنه، وروى ابن عباس عنها وروي جابر بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري كما روى أبو سعيد عن جابر، وأنس عن جابر وجابر عن أنس، وروى ابن عباس عن جابر بن عبد الله كما روى جابر عنه، وروى أبو سعيد الخدري عن ابن عباس كما روى ابن عباس عنه(٣).

ومن يراجع كتب السنن وتراجم الرواة يجد كثيراً من روايات بعض الصحابة عن بعض، وهذا دليل واضح على النشاط العلمي الذي كان بينهم يتبادلون الأحاديث ويسمعون ويسمع منهم ويروون ويروى عنهم. كل هذا في سبيل معرفة الحق وحفظ السنة المطهرة.

ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم، بل حثوا على طلبه

---

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي الزّهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

(٢) مناذر هما بلدتان بنواحي خوزستان، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى، وهما من كور الأهواز وقد فتحتا سنة (١٨ هـ). معجم البلدان لياقوت: ٨/ ١٦٠.

(٣) اللطائف في دقائق المعارف من علوم الحفاظ الأعارف مخطوطة الظاهرية ص ١: آ ـ ٣: ب.

وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم، ولم يتركوا وسيلة لذلك إلا أفادوا منها. من هذا ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: «تفقهوا قبل أن تسودوا» وقال أيضاً: «تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن»[1] وكان أبو ذر مثلاً رائعاً لنشر الحق وتبليغ سنة رسول الله ﷺ، يروى عنه أنه قال: «لو وضعتم الصمصامة ـ السيف الصارم ـ على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها».

وما كان أبو ذر بدعاً في الصحابة، إنما كان أحد الألوف الذين ساهموا في حفظ السنة.

عن أبي قلابة قال: «قال ابن مسعود: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله...»[2] وكان ينهى عن البدع ويأمر باتباع السنة فيقول: «الاقتصاد في السنة أفضل من الاجتهاد في البدعة»[3].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فانكم إلا تفعلوا يدرس»[4].

ووقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال: «ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا، واوسعوا لهم في المجلس، واسمعوهم الحديث، وافهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم».

وكان ابن عباس يحض طلابه على مذاكرة الحديث، فيقول: تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم، فانه ليس بمنزلة القرآن، القرآن مجموع

(١) جامع بيان العلم وفضله: ٢ / ٣٤.

(٢، ٣) تذكرة الحفاظ: ١ /١٥، ومعرفة علوم الحديث: ص ١٤١.

(٤) معرفة علوم الحديث: ص/٦٠ و ١٤١.

محفوظ، وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث تفلت منكم، ولا يقل أحدكم حدثت أمس لا أحدث اليوم، بل حدث أمس، وحدث اليوم، وحدث غداً . . . كما كان يقول: إذا سمعتم منا شيئاً فتذاكروه بينكم.

وكان أبو سعيد الخدري يحب طلاب العلم ويفسح لهم المجالس، وكثيراً ما كان يقول: تحدثوا، فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً.

ومما يروى عن أبي أمامة الباهلي أنه قال لطلابه: «ان هذا المجلس من بلاغ الله إياكم، وأن رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به، وأنتم فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون. وفي رواية كان يحدثهم حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ، فإذا سكت قال: اعقلوا بلغوا عنا كما بلغناكم»(١).

وهكذا كان الصحابة الكرام يتواصون بحفظ الحديث ومذاكرته ويحضون طلابهم على ذلك، ويحثونهم على تبليغ ما يسمعون منهم.

وقد سار التابعون واتباعهم على نهج الصحابة، فكانوا يوصون أولادهم وتلاميذهم بحفظ السنة وحضور مجالس العلم، فقد أوصى عروة بنيه بهذا كما أوصى طلابه، وكان علقمة يشجع طلابه على مذاكرة الحديث ودراسته، كما كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: إحياء الحديث مذاكرته فتذاكروه. واشتهرت بين العلماء عبارة «تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيج الحديث».

وأكثر من هذا، كان بعض الآباء يشجعون أبناءهم على حفظ الحديث ويقدمون إليهم جوائز كلما حفظوا شيئاً منه، من هذا ما رواه النضر بن الحرث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم. فطلبت الحديث على هذا(٢).

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب: ص ١٠٠ : آ.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٠.

ومهما يكن موقف المربين في هذا العصر من هذا التشجيع فإنه وسيلة مبدئية لحفظ الحديث ودراسته.

ومهما يكن موقف المربين في هذا العصر من هذا التشجيع فإنه وسيلة مبدئية لحفظ الحديث ودراسته. وإن كانت في نظر الطفل هي الغاية فإنها لا تلبث أن تصبح وسيلة، فإذا ما ألف حفظ الحديث، وتعطشت نفسه إليه تجسمت الغاية الأصلية أمامه، وعرف قيمتها، وقدر نفع الحديث، وعرف معناه، وأصبح من عشاقه، سواء انقطعت تلك الجوائز أم لم تنقطع. وإن التاريخ ليحفظ لنا أخباراً كثيرة تثبت إقبال طلاب العلم على طلب الحديث إقبالاً لا مثيل له، بدافع ذاتي، وميل نفسي، حتى إن بعض طلاب العلم المتفانين في حب الحديث كانوا يؤدون بعض الخدمات من أجل سماع حديث أو حديثين.

وروى سفيان بن عيينة قال: كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه الدين فحملنا إلى مكة فلما رحلنا إلى المسجد لصلاة الظهر، وصرت إلى باب المسجد إذا شيخ على حمار فقال لي يا غلام أمسك عليّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع فقلت: ما أنا بفاعل أو تحدثني قال: وما تصنع أنت بالحديث؟ واستصغرني، فقلت: حدثني. فقال: حدثني جابر عن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره، وجعلت اتحفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال: ما نفعك ما حدثتك به، حبستني؟ فقلت حدثني بكذا وحدثني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال: بارك الله فيك تعالى غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار[1].

وقد كانت المنافسة العلمية المحببة قائمة بين طلاب الحديث في ذلك العصر، فالذكي من تمكن من حفظ أحاديث في باب كذا وباب كذا،

---

(١) المحدث الفاصل ـ ص: ١٤٣: ب.

والمجد من أسرع إلى صحابي وأخذ عنه قبل وفاته، والمفلطح من حظي بحب شيخه، وتمكن من الانفراد بـه، والكتابـة عنه، والقـراءة عليه ثم العرض والتصحيح بين يديه... لكل هذا رأينا أصحاب الحديث يجدُّون في طلب العلم الشريف، ويتبارون في تحصيله، وكثر طلاب العلم كثرة تثلج لها الصدور، وتشرق بها النفوس حتى إن أحد الصحابة كان يحدث الناس، فيكثرون عليه، فيصعد فوق بيت ويحدثهم[1].

قال أنس بن سيرين: قدمت الكوفة قبل الجماجم، فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون الحديث، وفي رواية زاد: فقال: وأربعمائة قد فقهوا. فقبل بـداية الـربع الأخـير من القرن الأول أضحت الكـوفة محط أنـظار أهل الحديث، ولم يقتصر هذا النشاط على قطر دون آخر، بل كان عاماً شاملاً. فحلقات العلم كانت تعقد في كل مكان، ففي جامع دمشق حلقات أبي الدرداء التي تضم نيفاً وخمسمائة وألف طالب إلى جانب حلقات غيره من شيوخ دمشق، التي كان يكتب فيها الطلاب، كما كانت تعقـد في حمص وحلب والفسـطاط والبصرة والكوفـة واليمن إلى جـانب حلقـات ينبـوع الإسلام في مكة والمدينة، فقد كانت في المدينة كالروضة يختار منها طالب العلم ما يشاء.

وفي عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، كان المسجد الحرام يغص بطلاب العلم، حتى إن الخليفة أعجب بهم عندما زاره فوجد فيه خلقاً لا يحصى، تضم أبناء المسلمين وطلاب العلم، فسأل عن شيوخ هذه الحلقـات، فكان فيهـا عطاء، وسعيـد بن جبير، وميمـون بن مهـران، ومكحـول، ومجـاهـد، وغـيرهم، فحث أبنـاء قـريش عـلى طلب العلم والمحافظة عليه.

---

(١) كتاب العلم لزهير بن حرب: ص/١٩٢.

وقد قيض الله لهذه الأمة أساتذة أوتوا العلم والأدب وأصول التربية ترعرعوا بين يدي رسول الله ﷺ ويدي أصحابه الكرام، واجتهد القائمون على التعليم منهم في ذلك العصر في تعليم تلاميذهم وجلسائهم، واعتنوا عناية عظيمة بالنشء الجديد، فنرى اسماعيل بن رجاء - من أقران الأعمش - يجمع الصبيان ويحدثهم. ومر رجل بالأعمش - سليمان بن مهران - وهو يحدث فقال له: تحدث هؤلاء الصبيان؟ فقال الأعمش: هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك(١).

وكان مطرف بن عبد الله يقول: لأنتم أحب إليَّ مجالسة من أهلي. وكان سفيان الثوري يقول: لو لم يأتوني - (يعني طلاب الحديث) - لأتيتهم في بيوتهم.

وكان بعض الشيوخ يفعلون هذا فيذهبون إلى طلابهم ويحدثونهم، من هذا ما يروى عن وكيع أنه كان يمضي في الحر وقت القيلولة إلى قوم سقائين يحدثهم، ويقول: هؤلاء قوم لهم معاش لا يقدرون يأتوني فيحدثهم بتواضع(٢).

وكان الوليد بن عتبة يقرأ في مسجد باب الجابية مصنفات الوليد بن مسلم، وكان رجل يأتيه بعد فوات ربع المجلس أو ثلثه فيعيده عليه، ولما تكرر هذا منه سأله الوليد بن عتبة عن تأخره فقال له: «أنا رجل معيل ولي دكان في (بيت لِهْيا)(٣)، فإن لم أشتر حويجاتها من غدوة ثم أغلق وأجيء

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٨٩. وزيادة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٣٦: آ.

(٣) بيت لهيا بكسر اللام وسكون الهاء وياء وألف، كذا يتلفّظ بها والصحيح بيت الآلهة بفتح اللام والهاء وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق، والنسبة اليها بتلهي بفتح الباء والتاء وسكون اللام، وقد نسب إليها خلق كثير من أهل الرواية. معجم البلدان: ١/ ٧٨٠.

أعدووإلاّ خشيت أن يفوتني معاشي، فقال له الوليد بن عتبة لا أراك ها هنا مرة أخرى) فكان الوليد يقرأ المجلس ويأخذ الكتاب ويمر إلى (بيت لهيا) حتى يقرأ عليه المجلس في دكانه.

وكانوا يعلمونهم الحديث والأدب فيه، واحترامه واجلاله، وكانت لحلقات العلم مكانة جليلة، وكان طلاب الحديث يوقرون أساتذتهم، ويفخرون بخدمتهم، والأخذ عنهم، وكان سلوكهم مع أساتذتهم، ويفخرون بخدمتهم، والأخذ عنهم، وكان سلوكهم مع أساتذتهم في غاية الأدب والاحترام، سواء أكان هذا في التلقي عنهم أم في مناقشتهم، ويؤثر عن كثير من الصحابة والتابعين نصائح لطلاب العلم في هذا الصدد.

وأما حلقات العلم وشيوخها وطريقة تعليمهم فإنها تحتاج إلى بحث كبير قائم بذاته، وإن لدينا من الأخبار ما يملأ أكثر من مجلد في هذا، ولكن المقام يضيق بإيرادها.

١٩ ـ مراتب الرواة واصطلاحاتها:

من المعروف أن الرواة لا يتساوون في درجة عدالتهم وضبطهم، وإنما يتفاوتون، ويختلف وضع كل منهم تبعاً لهذا التفاوت. ومن هنا فقد اهتم علماء الجرح والتعديل بتصنيف الرواة حسب ما يتمتع به كل منهم من العدالة والضبط.

وفيما يلي بيان تلك المراتب، والاصطلاحات التي تلائم كل منها:

١ ـ الصحابة: وهي أعلى المراتب.

٢ ـ مَنْ تأكد مدحه: إما بأفعل التفضيل، كأوثق الناس. . . أو بتكرار الصفة لفظاً. كثقة ثقة. . . أو بتكرار الصفة معنى، كثقة حافظ.

٣ ـ ما عبر عنه بصفة دالة التوثيق دون تكرار:

كثقة، أو متقن، أو ثبت، أو عدل.

٤ ـ مَنْ قصر عمن قبله قليلاً: كصدوق سيء الحفظ، أو صدوق يَهِم، أوله أوهام، أو يخطىء أو تغيَّر بأَخَرَة. ويلتحق بذلك مَنْ رُمي بنوع من البدعة. كالتشيع، والقدر، والنصب، والإرجاء، والتجهم.

٥ ـ مَنْ قصر عمن قبله قليلاً: كصدوق، أو لا بأس به، أو ليس به بأس.

٦ ـ من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يُترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: مقبول، يتابع، وإلا فليِّن الحديث.

٧ ـ مَنْ روى عنه أكثر من واحد ولم يُوَثَّقْ، ويشار إليه بمصطلح: مستور، أو مجهول الحال.

٨ ـ مَنْ لم يوجد فيه توثيق لمعتبر، ووُجد فيه إطلاق الضعف، ولو لم يُفَسَّرْ، ويشار إليه بمصطلح: ضعيف.

٩ ـ مَنْ لم يرو عنه غيرُ واحد، ولم يُوثَّق، ويشار إليه بمصطلح: مجهول.

١٠ ـ مَنْ لم يُوثق ألبتة، وضُعّف مع ذلك بقادح، ويشار إليه بمصطلح: متروك، أو متروك الحديث، أو واهي الحديث، أو ساقط.

١١ ـ مَنْ أطلق عليه اسم الكذب والوضع.

٢٠ ـ حكم مراتب الرواة من حيث القبول والرد:

يحتج بحديث كل من الصحابة، وأوثق الناس، والثقة الثقة، والثقة الحافظ، ثم الثقة، والمتقن، والثبت، والعدل.

أما الصدوق، ومَنْ ليس به بأس، والمأمون، ومحله الصدق؛ فلا يحتج بأحد منهم، لأن هذه المصطلحات لا توحي بشريطة الضبط، ولكن يكتب حديثهم ويختبر حتى يعرف مدى ضبطهم.

أما الصدوق سيىء الحفظ، والذي له أوهام، أو صالح الحديث، أو مقارب الحديث، أو صدوق مبتدع، فلا يحتج بهم، وهم دون المذكورين قبلاً، ويكتب حديثهم للاعتبار فقط دون اختبار ضبطهم؛ لأن من الواضح عدم اتصافهم بالضبط.

ثم إن لين الحديث، والذي فيه ضعف، وسيىء الحفظ، ومَنْ لا يحتج به، ومضطرب الحديث، والضعيف، والمجهول، والذي له مناكير، ونحو ذلك، كل هؤلاء بالطبع لا يحتج بحديثهم، ولكن يكتب حديثهم للاعتبار، وهو البحث عن روايات تقويه ليصبح بها حجة، لأن هذه المصطلحات تشعر بصلاحية المتصف بها لذلك ولا تنافيها.

وأخيراً فإن مردود الحديث، ومطروح الحديث، والمتروك، ومتروك الحديث، وواهي الحديث، والساقط، وغير الثقة، وسارق الحديث، والمتهم بالكذب أو الوضع، وذاهب الحديث، والرجال، والوضاع، والكذاب، وأكذب الناس، ونحو ذلك، كل هؤلاء لا يحتج بهم بطبيعة الحال، ولا يستشهد بهم، ولا يعتبر بهم أيضاً.

٢١ ـ تدوين الحديث في عصر التابعين:

لقد تلقى التابعون علومهم على يدي الصحابة، وخالطوهم وعرفوا كل شيء عنهم، وحملوا الكثير الطيب من حديث رسول الله ﷺ عن طريقهم، وعرفوا متى كره هؤلاء كتابة الحديث ومتى أباحوها، فقد تأسوا بهم وهم الرعيل الأول الذين حفظوا القرآن والسنة، فمن الطبيعي أن تتفق آراء التابعين وآراء الصحابة حول حكم التدوين، فإن الأسباب التي حملت الخلفاء الراشدين والصحابة على الكراهة هي نفسها التي حملت التابعين عليها، فيقف الجميع موقفاً واحداً، ويكرهون الكتابة ما دامت أسباب الكراهة قائمة، ويجمعون على الكتابة وجوازها عند زوال تلك الأسباب، بل إن أكثرهم يحض على التدوين ويشجع عليه.

ولن نستغرب أن نرى خبرين عن تابعي أحدهما يمنع الكتابة، والآخر يبيحها، ولن نعجب من كثرة الأخبار التي تدل على الكراهة في مختلف أجيال التابعين ـ كبارهم وأواسطهم وصغارهم ـ والأخبار التي تدل على الإباحة ـ ما دمنا نوجه كل مجموعة من هذه الأخبار وجهة تلائم الأسباب التي أدت إليها، ونرى أن سبيل الصحابة المتأخرين وكبار التابعين إباحة تقييد الحديث، بشروط تمتنع معها كراهته المأثورة عندهم عن النبي ﷺ وكبار الصحابة، فقد امتنع عن الكتابة من كبار التابعين عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، وإبراهيم بن يزيد التيمي، وجابر بن زيد، وإبراهيم النخعي، ولم يرض عبيدة أن يكتب عنده أحد، ولا يقرأ عليه أحد، وقد نصح ابراهيم فقال له: «لا تخلدنّ عني كتاباً»[1]. وقبل وفاته دعا بكتبه فأحرقها وقال: «أخشى أن يليها قوم يضعونها غير مواضعها»[2]، وكره إبراهيم النخعي أن تكتب الأحاديث في الكراريس وتشبه بالمصاحف، وكان يقول: «ما كتبت شيئاً قط»، حتى إنه منع حماد بن سليمان من كتابة أطراف الأحاديث[3] ثم تساهل في كتابتها، قال ابن عون: «رأيت حماداً يكتب عن إبراهيم فقال له إبراهيم: ألم أنهك؟ قال إنما هي أطراف[4].

ونسمع عامراً الشعبي يردد عبارته المشهورة: «ما كتبت سوداء في

(١) جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٦٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) طبقات ابن سعد: ١/ ١٩٠.
(٤) أطراف الأحاديث هي أوائل الأحاديث، فيكتب المصنف طرف الحديث بحيث يعرف بقيته مع الجمع لأسانيده، وكتب الأطراف كثيرة عقد لها السيد محمد جعفر الكتاني رحمه الله (صاحب الرسالة المستطرفة) بحثا في رسالته (ص ١٦٧ ـ ١٧٠)، وكتاب ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، للشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله هو أحد كتب الأطراف المشهورة.

بيضاء، ولا سمعت من رجل حديثاً فأردت أن يعيده علي»[1].

وقد ازدادت كراهة التابعين للكتابة عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث، وتحمل عنهم، فيدخله الالتباس.

ويمكننا أن نستنبط أن من كره الكتابة وأصر، إنما كره أن يدون رأيه، وفي هذا يقول الأستاذ يوسف العش: وأما من ورد عنهم الامتناع عن الإكتاب من هذا الجيل، فيؤول امتناعهم بما لا يخالف ما انتهينا إليه، فهم جميعاً فقهاء، وليس بينهم محدث ليس بفقيه، والفقيه يجمع بين الحديث والرأي، فيخاف تقييد رأيه واجتهاده إلى جانب أحاديث الرسول ﷺ، ويوضح هذا بأمثلة تثبت ما ذهب إليه، فيقول: «إننا نجد في الواقع أخباراً تروي كراهتهم لكتابة الرأي، كاعتذار زيد بن ثابت عن أن يكتب عنه كتاب مروان... وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب ـ وهو من الفقهاء الذين روي امتناعهم عن الإكتاب ـ فسأله عن شيء فأملاه عليه، ثم سأله عن رأيه فأجابه، فكتب الرجل، فقال رجل من جلساء سعيد: أيكتب يا أبا محمد رأيك؟ فقال سعيد للرجل: ناولينها، فناوله الصحيفة فحرقها، وقيل لجابر بن زيد: أنهم يكتبون رأيك، قال: تكتبون ما عسى أرجع عنه غداً؟

وكل هذه الأقوال رويت من علماء، حدث المؤرخون عنهم أنهم كرهوا اكتاب الناس، وهي تدل دلالة صريحة على أن الكراهة ليست في كتابة العلم أي الحديث، بل في كتابة الرأي، وأن الأخبار التي وردت في النهي دون تخصيص إنما قصد بها الرأي خاصة، ويشابه هذا الأمر ما حدث في أمر كراهة الرسول ﷺ والصحابة الأولين: مع التباس الحديث بالقرآن، أو

---

(١) العلم لزهير بن حرب: ١٨٧ : ب.

الانكباب عليه دونه، فما كانوا يخشونه من الحديث، أصبح خشية التابعين الأولين من الرأي والتباسه بالحديث.

ويقوي هذا الرأي ما ورد عن هؤلاء التابعين من أخبار يحثون فيها على الكتابة، ويسمحون لطلابهم أن يكتبوا عنهم، ولقد نشطت الكتابة عندما فرق طلاب العلم بين النهي عن كتابة الرأي والنهي عن كتابة الرأي مع الحديث، ونرى التابعين في حلقات الصحابة، بل أن بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصاً شديداً، فهذا سعيد بن جبير كان يكتب عن ابن عباس، فإذا ما امتلأت صحفه كتب في نعله حتى يملأها[1].

وعنه قال: كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس، فكنت أسمع الحديث منهما، فأكتبه على واسطة الرجل حتى أنزل فأكتبه[2]، ورخص سعيد بن المسيب لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكا إليه سوء حفظه، ونرى عامراً الشعبي بعد أن كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء يردد قوله: «الكتاب قيد العلم»، وكان يحض على الكتابة ويقول: «إذا سمعتم مني شيئاً فاكتبوه ولو في حائط»، ومع هذا فقد روي إنه لم يوجد له بعد موته إلا كتاب بالفرائض والجراحات، واذا كانت كتبه التي تركها قليلة ولا تدل على نشاطه العلمي ـ فإننا نعزو هذه إلى قوة حافظته لأنه كان يعتمد على الحفظ أكثر من اعتماده على الكتابة، وهذا لا ينافي قط إملاءه لطلابه وحثهم على الكتابة، ويقول الضحاك بن مزاحم: «إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط» كما أنه أملى على حسين بن عقيل مناسك الحج.

وانتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري: إن لنا كتباً كنا نتعاهدها. وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الحديث. روي عن أبي قلابة قال: خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس ثم خرج علينا لصلاة

---

(١) المحدث الفاصل: ٤: ب ج ٤. (٢) جامع بيان العلم: ١/٧٢.

العصر وهو معه فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الكتاب؟ قال: حديث حدثني به عون بن عبد الله فأعجبني فكتبته، وهذا يدل على أن الكتابة قد شاعت بين مختلف الطبقات ولم يعد أحد ينكرها في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني. وقد كثرت الصحف والكتب في ذلك الوقت حتى لنرى مجاهد بن جبر يسمح لبعض أصحابه أن يصعدوا إلى غرفته فيخرج إليهم كتبه فينسخون منها.

ويطلب هشام بن عبد الملك من عامله أن يسأل رجاء بن حيوة عن حديث، فيقول رجاء: «فكنت قد نسيته لولا أنه كان عندي مكتوباً» وكان عطاء بن أبي رباح يكتب لنفسه، ويأمر ابنه أحياناً أن يكتب له، وكان طلابه يكتبون بين يديه، وقد بالغ في حض طلابه على التعلم والكتابة، فعن أبي حكيم الهمداني قال: «كنت عند عطاء بن أبي رباح، ونحن غلمان، فقال: يا غلمان، تعالوا اكتبوا، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا!!»[1].

ونشطت الحركة العلمية وازدادت معها الكتابة والقراءة على العلماء، ويدل على هذا ما روي عن الوليد بن أبي السائب قال: رأيت مكحولاً ونافعاً وعطاء تقرأ عليهم الأحاديث، وعن عبيد الله بن رافع، قال: «رأيت من يقرأ على الأعرج - عبد الرحمن بن هرمز - حديثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، فيقول: هذا حديثك يا أبا داود؟ قال نعم. . وها هوذا مع مولى بن عمر يملي العلم على طلابه، وطلابه يكتبون بين يديه. ويصور لنا قتادة بن دعامة السدوسي بإجابته لمن يسأله عن كتابة الحديث - موقف هذا الجيل من التابعين من الكتبة، بعد أن فشت فيهم وانتشرت وأصبحت من ضروريات كل طالب علم، فيقول: «وما يمنعك أن تكتب، وأخبرك

---

(١) المحدث الفاصل: ص ٣: ب ج ٤.

اللطيف الخبير أنه يكتب: ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾[1].

وكثرت الصحف المدونة، حتى أن خالداً الكلاعي جعل علمه في مصحف له أزرار ومراً.

وعلى رأس المائة من القرن الأول للهجرة، أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كبار العلماء بجمع الحديث وتدوينه، ثم بعث به إلى كل أرض له عليها سلطان، وهذا هو التدوين الرسمي ـ من قبل الدولة ـ الذي أجمع عليه المؤرخون. وها هو ذاك الضحاك بن مزاحم الذي أباح الكتابة سابقاً، والذي أملى مناسك الحج حين زال خوفه من أسباب الكراهة ـ ها هو ذا يقول: «يأتي على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه»[2]. وفي رواية عنه «يأتي على الناس زمان يعلق فيه المصحف حتى يعشعش عليه العنكبوت، لا ينتفع بما فيه، وتكون أعمال الناس بالروايات والأحاديث»[3]. لقد تصور عاقبة هذا الإقبال على الكتابة: وجعل الحديث في دفاتر وكراريس، فأعلن إنكاره مدوياً: «لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف»[4].

ويمكننا أن نحمل قول الزهري: «كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين»[5] ـ على ما بيناه، لأننا نعرف أن الإمام الزهري كان يكتب الحديث وهو في دور طلب العلم، وكان يشجع أصحابه على الكتابة، حتى إنه كان يكتب في ظهر نعله خشية

(١) سورة طه آية: ٥٢.

(٢) جامع بيان العلم: ١/٦٥.

(٣) المصدر السابق: ٢/١٢٩.

(٤) تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص/٤٧.

(٥) طبقات ابن سعد: ص ٣٥ قسم ٢ ج ٢.

أن يفوته الحديث، وفعلاً عندما طلب منه الخليفة هشام بن عبد الملك أن يكتب لبنيه خرج وأملى على الناس الحديث[1] وقال: «استكتبني الملوك فاكتتبهم، فاستحييت الله اذ كتبها الملوك ألا أكتبها لغيرهم»[2].

وكان سعيد بن عبد العزيز يفخر بحفظه ويقول: «ما كتبت حديثاً قط»، ونرى الإمام الأوزاعي بعد أن كان يملي على طلابه ويصحح لهم ما يكتبونه عنه ليجيزهم بروايته[3]، ينفر من الاعتماد على الكتاب، ويتشاءم مما سيؤول إليه الحفظ فلا يسره الميل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من أفواه العلماء، فيقول: كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه، ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله.

ونرى بعض من كره الكتابة في هذا العصر يعتمد عليها في حفظ الحديث ثم يمحو ما كتبه بعد أن يحفظه، وقد فعل غير واحد من السلف أمثال سفيان الثوري، وحماد بن سلمة وغيرهما. ويروى في هذا عن خالد الحذاء: «ما كتبت شيئاً قط إلا حديثاً طويلاً، فإذا حفظته محوته»[4].

وكان كثير من التابعين يمحون كتبهم قبل وفاتهم، أو يوصون بكتبهم إلى من يثقون به، ليفيد منها، خشية أن تقع في غير مواضعها، فقد أوصى أبو قلابة بكتبه إلى أيوب، كما أوصى شعبة بن الحجاج ابنه بغسل كتبه بعد موته.

إن محاولة هؤلاء المانعين من الكتابة، لم تخفف من نشاط الكتابة ولم تقف أمام هذا الجيل الذي نشأ عليها، فقد كان تياراً بساحة الكتابة أقوى بكثير من تيار كراهتها.

---

(١) حلية الأولياء: ٣/٣٦٣.
(٢) جامع بيان العلم: ١/٧٧.
(٣) الكفاية: ص/٣٢٢.
(٤) تقييد العلم: ص/٥٨ ـ ٦٠.

ونرى أيوب السختياني يرد على من يعيب تقييد الحديث، فيقول: «يعيبون علينا الكتاب!! ثم يتلو «علمها عند ربي في كتاب»[١].

وما لبث التياران أن توحدا وألحت الحاجة القاهرة إلى الكتابة على هؤلاء المانعين بأن يجاروا التيار العام، ويعتمدوا في حفظ السنة على الحفظ والكتابة معاً.

يقول ابن الصلاح: «ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك، وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة»[٢].

٢٢ ـ تاريخ علم الحديث رواية:

أخذ تدوين السنة أطواراً بالنسبة لجمعها، وكيفية المجموع منها؛ وذلك من العصر النبوي إلى آخر عصر الرواية في حدود الثلاثمائة، وهذه هي أطوار تدوينها الثالثة:

الأول: في العصر النبوي ـ لم تكتب السنة ولم يجمع الصحابة منها في الكتب إلا القليل لأمرين:

أولهما: لأن الصحابة أمَّةٌ أميّة وهي تعتمد على الحفظ لسيلان أذهانهم وضبط صدورهم، ولم يتسع وقتهم لشغلهم بكتابة القرآن وبالفتوحات لتقييد السنة وجمعها في الدواوين، بل ولا لنشرها.

وثانيهما: لأن النبي ﷺ نهى عن كتابتها كما قيل: لئلا تلتبس بالقرآن، والقرآن لم يكن محفوظاً في الصدور ولا في الصحف عندهم. وكان لا بد من ذلك، لأن السنة في المرتبة الثانية من القرآن، وشارحة له والعلم بالمشروح مقدم على العلم بشرحه.

---

(١) المصدر السابق: ص/١١٠.
(٢) مقدمة ابن الصلاح: ص/١٧١.

وقد ثبت أن النبي ﷺ نهى عن كتابة السنة، وكذلك وجد من أصحابه في عصره من كره كتابتها، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وأبو موسى، وابن مسعود، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري.

وثبت أيضاً أنه أجاز لجماعة من الصحابة، وأنه كتب كتباً فيها أحكام، لبعض الأمصار الإسلامية، وكذلك أصحابه منهم من أجاز جمعها وجمع لنفسه كثيراً منها، منهم: عمر، وعلي، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله.

فبعض العلماء حمل النهي على كتابة غير القرآن مع القرآن في مكتوب واحد، وأن أذنه ﷺ كان في التفريق - وبعضهم حمل النهي على أول العصر النبوي، وأنه أباحه آخر عصره ونسخ حكمه الأول، وبعضهم حمل الإذن على من أمن منه عدم الاتكال على الكتابة ليحفظ السنة في صدره، لأنه كان حافظاً والحفظ أحفظ لها من التغيير.

وعدم الإذن لمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ وحفظها منه أحسن من كتابتها لقرب الانتفاع بها في الفتوى، وضمان عدم الغلط في الكتابة. بل يرى بعض العلماء كالبخاري أن حديث النهي معلول لأنه ليس بمرفوع، بل هو موقوف على أبي سعيد فكتابته لم يمنع الرسول منها - فما ورد من أدلة الجواز ووقائع الجمع.

١ - كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص في عصر الرسول، كما حكاه أبو هريرة، وأن رسول الله أذن له بالكتابة عندما نهته قريش عن الكتابة عن رسول الله ﷺ فإنه كان عليه‌السلام يتكلم في الغضب وفي الرضا فقال عليه السلام: «اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق».

ويقول أبو هريرة[١]: «لم يكن أحد أكثر مني حديثاً إلا ما كان من عبد

(١) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني. حفظ عن النبي ﷺ الكثير، روى =

الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب».

٢ ـ أمر النبي بالكتابة لأبي شاه خطابته عليه السلام التي خطبها بمناسبة ما وقع بين بني ليث وخزاعة، وقال عليه السلام: «اكتبوا لأبي فلان».

٣ ـ كتب النبي ﷺ أحكام الصدقة وأنصباءها ولم يخرجها إلى عماله، وأخرجها بعده أبو بكر وعمر».

وكتابته عليه السلام لعمر[1] وبن حزم كذلك في الزكاة والديات، وكتابته إلى كسرى وقيصر وملوك مصر وعمان وغير ذلك، وهي سنة ثابتة.

٤ ـ كتابة النبي ﷺ للحارث بن مسلم التميمي وصاه وأنه ختم على المكتوب ودفعه إليه».

٥ ـ كتابة الصحابة في العصر النبوي ومنهم؛ علي بن أبي طالب وأبو بكر، وقد قال أبو جحيفة[2]. لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله ﷺ يا آل البيت، فقال علي: لا؟ إلا الفهم يؤتيه الله عبداً في كتابه وإلا ما في هذه الصحيفة، وأخرجها وفيها العقل وفكاك الأسير وألا يُقتل مسلم بكافر».

وروت عائشة: «أن أبا بكر جمع الحديث عن رسول الله، وأن ما جمعه خمسمائة حديث».

الثاني: عصر الخلفاء الراشدين ـ وفيه كانت الرواية قليلة. لتشدد الخلفاء في قبولها مما أدى إلى عدم انتشارها وعدم تدوينها ـ وكان ذلك

= عن أبي بكر، وعمر، وأبي بن كعب. قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، توفي سنة ثمان وخمسين. طبقات القراء للذهبي: ١/٤٠.

(١) عمرو بن حَزم بن زيد بن لَوْذان، الأنصاري، صحابي مشهور، شهد الخندق فما بعدها، وكان عامل النبي ﷺ على نَجْران، مات بعد الخمسين.

(٢) وهب بن عبد الله السوائي، المتوفى سنة (٧٤ هـ)

لحرصهم على ضبطها بالحفظ من حفاظهم لتظل مأمونة من الدس والغلط، ولحفظ نصوصها من التصرف في معانيها ممن ليس أهلاً لفهمها فيلتبس الأمر، وتضيع النصوص.

فقد روي أن أبا بكر جاءته امرأة تطلب توريثها وكانت جدة للميت فقال لها لا أجد لك في كتاب الله شيئاً وكان في مجلسه المغيرة فروي أن رسول الله ﷺ أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك من يشهد بذلك فشهد محمد بن مسلمة فأعطاها السدس(١).

ورُوي أنَّ عمر بن الخطاب استأذن عليه أبو موسى الأشعري فلم يأذن له فانصرف فطلبه فروى له الحديث «من استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف»(٢). وأنه استأذن ثلاثاً. فقال له عمر إما أن تأتيني ببينة على ما رويت وإلاّ لأفْعلنّ بل - يريد تعزيزه - فلما شهد له أبو سعيد الخدري قال له عمر أما أنّي أتهمك في دينك ولكنها الرواية عن رسول الله - ورُوي أن علياً كان يستحلف الراوي ويقول: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله»، وكان المكتوب عن الصحابة قليلاً جديداً.

الثالث: عصر صغار الصحابة وكبار التابعين إلى آخر المائة الأولى، وفي ذلك العهد وجد من التابعين من يجيز الكتابة اقتداء بمن أجازها من الصحابة كبشير بن نهيك وسعيد بن جبير. ووجد منهم من كره تدوينها اقتداء بمن كرهها من الصحابة مثل: الشعبي، وابراهيم النخعي. فقد روي عن بشير بن نهيك أنه قال: «كنت أكتب ما أسمع من أبي هريرة فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابي وقرأته عليه وقلت له هذا ما سمعت منك؟ قال نعم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ورُوي عن سعيد[1] بن جبير قال: «كنت أسير مع ابن عباس في طريق مكة ليلا وكان يحدثني الحديث فأكتبه في واسطة الرحل حتى أصبح فأكتبه». وكان المكتوب أيضاً قليلاً وخصوصاً لأن الصحابة تفرقوا في البلدان المفتوحة أمراء وقُضاة ومعلمين. ومات كثير في الحروب من صغار الصحابة وكبار التابعين فلم تكن الرواية حينئذ الا بالسماع.

٢٣ ـ لماذا بدأ التدوين في عصر ابن عبد العزيز:

بدأ التدوين في عصر أوساط التابعين في أول المائة الثانية، وذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز، لأنه خاف على السنة الضياع لكثرة موت العلماء وحملة السنة في الحروب والفتوح، فأمر عامله على المدينة أبا بكر بن محمد بن حزم بأن يكتب ما عنده بالمدينة من الحديث، وأن يجمع ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية وما عند القاسم بن محمد، والقول بأنه أمر بكتابة ما عند عمرة مبني على أنها توفيت بعد المائة.

وروي أنه كتب لأهل الآفاق مثل ما كتب لابن حزم، فقام العلماء بتدوين ما عندهم من السنة، وكان أوّل من دوّنها محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ووجدت الفكرة ونشطت الهمة ودونت السنة، وانتشر التدوين في كثير من الأمصار ولكنه لم يكن مستوعباً.

الخامس: عصر أواخر التابعين ومعهم تابعوا التابعين. وفي ذلك العصر شاع التدوين وانتشر في جميع الأمصار الإسلامية تتميماً للفكرة وحفظاً لنصوص السنة من أصحاب النحل التي ظهرت في ذلك الوقت من المبتدعة الخوارج والروافض والقدرية وغيرهم، وكانوا يدسّون كثيراً

---

(١) سعيد بن جُبَير بن هشام الأسدي الوالبي أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي. كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنيه. قتله الحجاج في شعبان سنة اثنتين وتسعين. طبقات للمفسرين للداودي: ١/ ١٨١.

ويضعون الاحاديث نصرة لمذهبهم.

وكان جمع السنة في ذلك العصر ليس خاصاً بأقوال النبي ﷺ وأفعاله بل كانت تجمع ممزوجة بأقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم مرتبة على أبواب الفقه.

السادس: عصر أتباع التابعين، ممن كانوا على رأس المائتين، وفي ذلك العصر ألف العلماء المسانيد وقصدوا من تدوينها جمع السنة النبوية فقط مخلصة من أقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم، ولم يقصدوا فيها جمع الصحيح فقط من السنة فوقع فيها الضعيف من الروايات.

السابع: عصر أتباع أتباع التابعين ممن عاصر البخاري، وفي ذلك العصر دُوِّنت السنة الصحيحة فقط ورتبت على الأبواب، ومن هؤلاء أصحاب الكتب الستة.

الثامن: عصر المتأخرين عن عصر الرواية. وفيه رتبت كتب المتقدمين وهذبت واختصرت وشرحت.

مثل ما عمله أبو عبد الله الحُميدي فإنه جمع الصحيحين على ترتيب المسانيد، وأبو السعادات مبارك بن الأثير فإنه جمع الكتب الستة بترتيب الأبواب، ونور الدين علي الهيثمي فإنه جمع ما زاد عن الكتب الستة من الكتب المشهورة من كتب السنة في مجمع الزوائد، والسيوطي فإنه جمع الكتب الستة والمسانيد العشرة وغيرها مما يزيد على الخمسين مصنفاً في جمع الجوامع، المسمى بالجامع الكبير، وجميع هؤلاء المتأخرين جمع المتون بغير إسناد، وفي هذه المؤلفات صحف الأوائل اليسيرة التي كانت في أوائل عصر التدوين، ومن عَمَل هؤلاء المتأخرين أصناف من التأليف والجمع لما كان في كتب المتقدمين. ككتب الأطراف والمعاجم والمستخرجات وغيرها من أنواع المؤلفات المختلفة الأنواع والأغراض، والتي دعت إلى جمعها هذه الكيفيات.

فهرس محتويات

كتاب

الحسن البصري

إمام أهل البصرة

فهرس الكتاب

تم فهرس الكتاب بحمد الله
والصلاة والسلام على رسول الله
وآله وصحبه وسلم